مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية

المجلد ٨ العدد ٢

٢٠٢١

King Khalid University Journal of Humanities, Volume 8, Issue 2, 2022
https://hj.kku.edu.sa

تغيرات البعد الفردي للذات عند المرأة وانعكاسه على مفهوم الزواج والأمومة في المجتمع السعودي

د. نوره فرج المساعد

جامعة الملك عبدالعزيز

الملخص:

تقوم الدراسة على الافتراض أن هناك تصاعد في البعد الفردي للذات لدى أفراد المجتمع السعودي. حيث تشير الدراسة إلى بدء تشكل حالة اجتماعية جديدة مفادها تزايد البعد الفردي للذات عند المرأة. حيث لم تعد قيم الأسرة قائمة بذاتها ولذاتها، بل تتفاعل وتتطور مع تطور القيم والتطلعات الفردية للطالبة الجامعية، وبالتالي لخريجات الجامعات، تلقي هذه الدراسة الضوء على ما يجري من تحولات اجتماعية وثقافية على مستوى المجتمع السعودي والقيم المحيطة بالمرأة، وعلى وجه الخصوص التحولات في قيم المرأة السعودية نحو الزواج والأمومة. حيث يعتبر عدم التطابق، أو الفجوات ومسافات التفاعل، بين قيم المجتمع المحيطة بالمرأة وقيم المرأة هو المحرك الرئيسي لما تحظى به الفتاة والمرأة السعودية من حقوق وفرص وخيارات في الوقت الحاضر وفي ذات الوقت ما تواجهه من تحديات وكذلك لما هو متوقع الحصول في السنوات والعقود القليلة القادمة.

الكلمات المفتاحية: المرأة السعودية، قيم المجتمع السعودي، الزواج والأمومة، المجتمع السعودي والتغير

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية

المجلد ٨ العدد ٢

٢٠٢١

King Khalid University Journal of Humanities, Volume 8, Issue 2, 2022
https://hj.kku.edu.sa

Change in the Saudi Society: Marriage and Motherhood

Norah F. Almesaed
King Abdulaziz University

Abstract:

The focus of the study assumes that there is a significant increase in the individual dimension among members of the Saudi society. The study indicates that there is a beginning of a new social structure that reflects an increase in the individual dimension within women. Where family values are no longer stands by themselves but interact and evolve with the change in the values and individual expectations among female university students and consequently female university graduates. The study also highlights the social and cultural changes that is taking place in Saudi society and the change in values affecting women opportunities and choices in particular values of marriage and motherhood. It is the discrepancy, gaps and social distance between society's values surrounding women and women's values is the main fuel to what women enjoy in relation to rights, opportunities, and choices, and what will be expected to take place in the future.

Keywords: Saudi Society, Saudi Women, Saudi Society Values, Marriage and Motherhood, Change in Saudi Society.

المقدمة:

مر المجتمع السعودي منذ عقود طويلة بالكثير من التغيرات يقدم لها عمر (١٤٢٩هـ) في تصور مختصر للجوانب البنيوية النوعية التي طالها التغيير في المجتمع السعودي وفي داخل الأسرة السعودية تحديداً: فصَغُر حجمها، وبدلت نمط زواجها، وقللت وظائفها وأبعدتها عن نسقها القرابي وزادت من دخلها المالي وحضرت نمط عيشها وجعلت تنشئتها متسامحة ومتساهلة، وسلطتها متعددة المصادر وعلاقاتها غير مباشرة وثانوية وحرية في تضامنها الداخلي وحراكها قائما على المؤهلات والكفاءة الذاتية ومكانات أفرادها مكتسبة غير موروثة، وقيمها متغايرة ومعاييرها متسامحة وذوقها عصري وثقافتها عالمية ومشاكلها فردية -شخصية وولاداتها محددة.

يرى عمر (١٤٢٩هـ) أن الفرد السعودي لم يتبنى الزواج الخارجي عشوائيا أو مزاجيا، بل من خلال إدراكه بأن الزواج الداخلي غير قادر على مسايرة روح الحياة الحضرية القائمة على التنوع والتطلع. وان الزواج الخارجي يجلب له اعتباراً اجتماعياً أعلى واوسع داخل المجتمع الحضري من الزواج الداخلي الذي يمنحه اعتباراً اجتماعياً محدوداً وضيقاً بضيق الأقارب كما أن الزواج الداخلي يقيد حركة ونشاط الرجل الحضري.

الأسرة في السعودية ليست واحدة ومثلها مثل بقية مؤسسات المجتمع لم تتمكن أن تحمي نفسها من التحولات الاجتماعية عندما حلت الدولة والمؤسسات العامة والخاصة محل العائلة في سد الكثير من الحاجات وفتحت مجالات التوظيف، حدت من الاعتماد الاقتصادي لأفراد الأسرة على بعضهم البعض، واضطرتهم للهجرة والعمل في أماكن

مختلفة داخل المملكة. كما أصبحوا يتقاضون رواتب ويسكنون في شقق وبيوت مستقلة، هذا التطور أدى إلى تغير في استقلالية أفراد الأسرة وأصبح هناك توجه، وتأكيد على الحرية الفردية، وحق الاختيار بعيداً عن تدخل الأسرة، وهذا ما يطلق عليه البعد الفردي. ولذلك تقوم الدراسة على طرح التساؤل التالي: هل هناك تصاعد في البعد الفردي للذات لدى المرأة السعودية؟ هل قيم الأسرة قائمة بذاتها ولذاتها، أم تتفاعل وتتطور مع تطور القيم والتطلعات الفردية للطالبة الجامعية، وهل يمكن قياس ذلك من خلال قيم الزواج والأمومة؟

لماذا الزواج والأمومة؟ الزواج والأمومة هما من أهم محددات ومرجعيات وعي الذات بالنسبة للمرأة. فهما بحق الجسر الذي يربط الحس بالفردية بوعي الحالة الجماعية/ الاجتماعية لدى المرأة. وهما متعلقان بشكل مباشر بين الذائقة الفردية والحس الجمالي من جهة، ومجمل مكونات القيم العليا التي تربط المرأة بالمجتمع. وهما بحق الإطار الذي يوحد متطلبات البيولوجيا والفيزياء من جهة، والقيم العليا والذائقة الجمالية من جهة أخرى. إذ أن أهم ما يميز الزواج والامومة أن الحس الجمالي أو الذائقة الجمالية تتبدى فيهما بين المستويين الفردي والجماعي، ولما كانت كل ذات تتطور بين مرجعين: مرجع فيزيائي مادي فردي ومرجع قيمي جماعي وجمالي. فإن قيم الزواج والأمومة، بسبب ارتباطهما الواضح بالمستوى الفردي وعلاقته بالمجتمع (تشكل الذات) تفسران بشكل واضح مدى وعمق البعد الفردي مقارنة بالبعد الجماعي في تشكل الذات لدى المرأة في المجتمع السعودي.

تصاعد البعد الفردي في الذات عبر تحول في القيم، ليست ظاهرة معزولة

ومحدودة، وهي ليست حصرياً لفئة محددة مثل طالبات الجامعات، بل تكاد تكون ظاهرة عامة. وأهمية هذا التصاعد أنه يكشف عن أنماط سلوكية جديدة، وعن ميول عامة أكانت في مجالات الاستهلاك والتسويق، أو في مجال الإدارة والسياسات العامة[1]. حيث أن تصاعد البعد الفردي في الذات، له علاقة بمجمل منظومةِ القيم، وله تأثير فعال على أنماط التواصل الاجتماعي، إضافة إلى أنه يمثل عامل ضغط على توسيع سلة الخيارات الاجتماعية.

منهجية الدراسة:

١. تعتبر هذ الدراسة من الدراسات المسحية، حيث اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي بالعينة لطالبات بجامعة الملك عبدالعزيز، وهو منهج يسمح لنا بالوصول إلى نتائج ترتبط بتغير القيم في المجتمع السعودي. يضاف على ذلك إن الدراسة لم تنطلق من فرضية وجود تغير في قيم الزواج والأمومة وأرادت اكتشاف طبيعة هذه التغيرات. بل انطلقت الدراسة من سؤال الإجابة عليه ستقود إلى الاستنتاج بأنه إذا كان هناك تغير في قيم متعمقة في ثقافة المجتمع السعودي كالزواج والأمومة فهذا يعني أن الواقع الاجتماعي للمجتمع السعودي اليوم قد شهد تغيرات ليس في نمط الحياة والأنشطة اليومية بل أيضا في السلوك والإطار القيمي للأفراد. ولذلك يمكن القول وبدرجة علمية عالية بأن هناك تحول في قيم الزواج والأمومة لدى طالبات الجامعات السعودية. وهذا بحد ذاته ينطوي على قيمة علمية

---

[1] لمزيد من التوضيح عن علاقة القيم بتحولات وعي الذات، ومدى ارتباط هذا التحول بأبعاد ثقافية وسياسية واقتصادية، انظر علي زيعور، الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية: من مونوغرافيا قرية إلى التنمية الوطنية، بيروت: دار الطليعة. ١٩٧٨.

وأهمية ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية بما في ذلك الجوانب التسويقية التي لا يمكن اغفالها، "الأفكار ظواهر. وهي وقائع وأحداث. يجب أن تدرس كأشياء اجتماعية وعلى أنها نتاج تطور تاريخي وظروفي"[١].

ويسمح منهج المسح الاجتماعي بالعينة بالوصول لنتائج كمية وبالتالي وصف المبحوثات فيما يتعلق بصلتهم بالمتغيرات موضوع الدراسة، كما أن تقنية التحليل الكمي تسمح بظهور موضوعية وجود الظاهرة موضوع الدراسة، وهو التحول في قيم الزواج والامومة لدى طالبات الجامعات السعودية. من جهة هناك اتساع كمي، حيث تثبت الدراسة أن نسبة كبيرة من العينة التي تم استطلاعها أفادوا بتحول نظرتهم للزواج والأمومة. ومن جهة أخرى هذه الظاهرة ليست معزولة بل ترتبط مع بعض المتغيرات الثقافية والديموغرافية، مما يثبت أنها ظاهرة مضطردة وليست مجرد ظاهرة مؤقتة. حيث تشير الارتباطات الكمية مع العديد من المتغيرات الاجتماعية أن التحول لا يطال فقط جزء من المجتمع، بل يغطي قطاعات واسعة وإن كان بنسب متفاوتة في هذه المرحلة. وهذا يثبت أن التحول في قيم الزواج والأمومة لدى طالبات الجامعات لا يمكن توصيفها بأنها مجرد انحراف عن تيار عام موحد ومتماسك. حيث تثبت الدراسة أن التحول لا يتوقف عند حدود طبقة معينة، أو فئة اجتماعية، بل يطال كل فئات وطبقات المجتمع بنسب متفاوتة. وهو مرتبط بعوامل متزايدة، أهمها مستوى تعليم الأبوين. مما يعني أن التعليم الآن

[١] علي زيعور، الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية: من مونوغرافيا قرية إلى التنمية الوطنية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨، ص٣٧.

سينعكس في المستقبل القريب على قيم الزواج والامومة لدى الأجيال القادمة. وهذا ليس موضوعاً للمحاكمة، أو للتقييم. فليس المطلوب إدانة هذا التحول في القيم أو تأييده، بل المطلوب فهمه والتعامل معه وإدارته بشكل مناسب، بحيث لا يؤدي إلى انكسارات أو انهيارات في التماسك الداخلي للمجتمع.

٢. فيما يتعلق بطبيعة العينة فهي العينة العمدية، والتي يختار الباحث فيها حالات يعتقد أنها تمثل المجتمع في الجانب الذي يتناوله البحث، كأن يختار الباحث فئة عمرية كما هو الحال في هذه الدراسة لاعتقاده أنها الأكثر ملائمة للقيام بالبحث فيها. وذلك لقياس تأثير المتغيرات ذات الصلة بالدراسة المتمثلة في الإطار الاقتصادي والاجتماعي للأسرة. لذلك تم الاعتماد على تحديد دقيق لفضاء الدراسة، وهو طالبات جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بعينة بلغ حجمها (١٠٠٠) طالبة من طالبات السنة التحضيرية[١] لتحقيق إمكانية استطلاع العلاقة بين المتغيرات موضوع الدراسة وبعض المتغيرات الديموغرافية والثقافية. لم تستغرق عملية جمع البيانات من الوقت الكثير (١٤٤٠/٢/٢١هـ- ١٤٤٠/٢/٢٥هـ) حيث تمت خلال برنامج الإرشاد الجامعي وهو البرنامج الذي تحرص على حضوره الطالبات المستجدات اللاتي يتم قبولهن بالجامعة، وبما لايقل عن ٤٠٠٠ طالبة.

٣. أما أداة البحث فهي الاستبانة التي احتوت على (١٩) عبارة عن الزواج و (١٧)

---

[١] السنة التحضيرية هي العام الأول في الدراسة الجامعية والتي يخضع لها جميع الطلاب الذين يتم قبولهن بالجامعة بمسارين: علمي وإداري إنساني. نجاح الطلاب في هذه السنة والمعدل التراكمي الذي يتحصلون عليه يحدد نوعية الكلية التي يمكن لهم الالتحاق بها.

عبارة عن الأمومة. وتم تفريغ البيانات بالاعتماد على برنامج التحليل الإحصائي (Special Package for Social Science: SPSS).

أهمية الدراسة:

١. يمر المجتمع السعودي بعملية تحول كبيرة. فمن جهة متطلبات التحديث الاقتصادي والإداري، وما يقتضيه ذلك من تحولات على الكثير من المؤشرات السلوكية، وارتباط هذه التحولات بتغير بعض القيم. ومن جهة أخرى متطلبات الحفاظ على الهوية والقيم المركزية للمجتمع، وبينهما تجري عملية تفاعل، بعضها صامت وخطير، وبعضها ظاهر للعيان، وقابل للقياس بسهولة.

٢. بعض ما يجري متعلق بتصور الفرد لنفسه ولعلاقته بالمجتمع. وهناك سلسلة طويلة من الحوادث التي تعبر عن عدم الانسجام (وأحياناً انكسار) بين صورة الفرد عن ذاته من جهة، ومنظومة العلاقات المركزية التي تربطه بالمجتمع من جهة أخرى. وهذه المنظومة (تصور الفرد لنفسه وتأثير هذا التصور على خياراته ومنظومته السلوكية من جهة) لها تجليات فردية مرضية، معني بها علم النفس، مما يجعلها خارج إطار هذه الدراسة ومحدداتها المنهجية. ولكن هناك تحولات تدل على انزياح عام وليس مجرد حالات مرضية أو اعتلالات فردية في ديناميكيات التكيف بين الفرد والمجتمع. وأهم ما يعبر عنه هذا الانزياح اجتماعياُ، هو التحول في الخيارات الاجتماعية. وللتعبير عن ذلك في هذه الدراسة تم تطوير واستعمال مفهوم سلة الخيارات الاجتماعية أمام الأفراد والذي ورد تفصيله سابقاً.

٣. الانزياحات التي تصف الفجوة بين تصور الفرد لذاته وتصوره لمنظومة القواعد

المنظمة لعلاقاته بالمجتمع، وإن بدت قصيرة، ومسيطر عليها، ولكنها تدل على مقدمات لتحولات متوقعة في منظومة القيم ومن ثم لتغيرات للقواعد الاجتماعية المنظمة لحياة الأفراد.

٤. وحتى تتمكن الدراسة من إضاءة هذه المسافات القصيرة، كان لا بد من أن تكون دراسة وصفية بشكل واضح، بحيث لا تسعى لتقديم تفسيرات، بمقدار ما تسعى لإثبات وجود ظاهرة اجتماعية (التحولات في قيم الزواج والأمومة لدى طالبات الجامعة كمؤشر على تحولات في الذات الاجتماعية بفحص سلة الخيارات وتوضيح أهمية التغيير في هذه الخيارات). وحتى تنسجم الدراسة مع هدفها اعتمدت على ركنيين مركزيين: الركن الأول بنية مفاهيمية بسيطة ومباشرة، تناولت العديد من المقاربات والمفاهيم المنهجية، إضافة إلى مفهوم الذات، الذي يدل على التجلي الاجتماعي للكائن الإنساني. مفهوم الذات الذي يعبر عن التجلي الاجتماعي في كينونة الفرد الإنساني. لهذا بالرغم من التجلي الفردي لمفهوم الذات، إلا أنه مفهوم مثقل ومسكون بالبعد الاجتماعي. بمعنى أصح لن يكون للفرد الإنساني ذاتاً مشخصة لولا الوجود الاجتماعي. وهذه الذات تتعين وتتشخص من خلال منظومة قيم وقواعد سلوكية، وخيارات مقبولة اجتماعياً، وقدرة على التأثير على خيارات الآخرين.

مفاهيم الدراسة:

تناولت الدراسة ثلاثة مفاهيم أساسية هي: التغير الاجتماعي، الزواج والأمومة.

يقصد بالتغير الاجتماعي في علم الاجتماع، التغيير في الآليات داخل البنية

الاجتماعية، التي تتميز بالتغيرات في الرموز الثقافية، أو قواعد السلوك، أو المنظمات والمؤسسات الاجتماعية، أو أنظمة القيم. أو بعبارة أخرى، التغير الاجتماعي هو ما يطرأ على الأبنية الاجتماعية والأنماط الثقافية من تعديل عبر الزمن، وقد حاول أوائل المفكرين الاجتماعيين – أوغست كونت، وهربرت سبنسر، وكارل ماركس، وإميل دوركهايم، وماكس فيبر، فهم الآثار الإنسانية لتحولين عظيمين أنتجا العالم الحديث هما: التحضر والتصنيع. جميعهم تشاركوا في رؤية مفادها أن دراسة المجتمعات البشرية والتغيير يمكن فهمه بطريقة وآليات عامة، تشتمل دراسة التغيير الاجتماعي على مكونات كلية (Macro) وجزئية (Micro).

أما الزواج فهو مفهوم يتم تعريفه من خلال كيانات مختلفة وبناءً على عوامل ثقافية ودينية وشخصية. التعريف المقبول والشامل هو أن الزواج: ارتباط رسمي وعقد اجتماعي وقانوني بين شخصين يوحد حياتهما قانونياً واقتصادياً وعاطفياً. وفي العادة يعني اتفاق الزواج التعاقدي أن للزوجين التزامات قانونية تنعكس في صورة واجبات وحقوق تجاه بعضهما البعض طوال حياتهما معاً أو حتى يقرروا الطلاق. كما أن الزواج يعطي شرعية للعلاقات الجنسية والإنجاب داخل الزواج من هنا يُنظر إلى الزواج على أنه يلعب دورًا رئيسيًا في الحفاظ على الأخلاق والقيم داخل المجتمع.

أما الأمومة فهي المفهوم الذي يميل علماء الاجتماع إلى استخدامه للإشارة إلى التوقعات الاجتماعية والتجارب والهياكل المرتبطة بدور الأم. كما أن استخدام مصطلح الأمومة يميز الحقيقة البيولوجية لإنجاب طفل (أن تصبح أُمًّا) والممارسات المتضمنة في رعاية الأطفال (الأمومة) عن الأعراف العامة والثقافية المرتبطة بإنجاب الأطفال

ورعايتهم. بعبارة أخرى، الأمومة هي مؤسسة اجتماعية تساهم في إعادة إنتاج القيم، والمفاهيم والسلوكيات.

الحدود المنهجية للدراسة:

تلتزم الدراسة بتناول موضوعها من خلال منظور التغير الاجتماعي. وهذا الاختيار المنهجي بني على حقيقة أن التغير الاجتماعي حقيقة تطال جميع المجتمعات الإنسانية، ولكن بسرعات متفاوتة. الميزة المشتركة لدى جميع المجتمعات البشرية، والثقافات، أنها تمر خلال العقود القليلة الماضية بتغيرات اجتماعية عميقة وسريعة، قياساً إلى التغيرات التي كانت تحصل في الماضي، والتي كانت تمر أجيال حتى تتحقق.

الإطار النظري للدراسة:

١. تنطلق الدراسة في موضوع التغير الاجتماعي من أهمية دراسة ديناميكيات هذا التغير. فالعديد من المحاولات لتفسير هذا التغير بعامل مركزي أو عدد محدود من العوامل، كلها كانت تقع ضحية محاولة تفسير التغير الاجتماعي كظاهرة من خلال مقاربات خارج إطار علم الاجتماع. فمن مراجعة سريعة لمحاولات مفكري القرنين التاسع عشر والعشرين لتفسير التغير الاجتماعي، أن معظمهم حاول تفسير التغير الاجتماعي بأسباب لا يمكن لعلم الاجتماع أن يتعامل معها. وتوزعت التفسيرات على أسباب واسعة: بعضها بيولوجي، وبعضها تكنولوجي، وبعضها متعلق بالمناخ والقيم، وآخر بالتطورات السياسية. حتى ماكس فيبر (١٨٤٨ - ١٩٢٠

Max Weber)[١]، بالرغم من أنه أشار بوضوح إلى أن المجتمعات تتغير بمسارات مختلفة، ولا يوجد مسارٍ واحدٍ يحكم عمليات التغيير لدى كل المجتمعات، إلا أنه كتب مطولاً عن تفسير التغير الاجتماعي في المجتمعات الغربية، وردها إلى القيم والأخلاق البروتستنتية، باعتبارها منظومة ثقافة وقيم تنسجم مع متطلبات التطور الرأسمالي. وهو بذلك ليس بعيداً عن مقاربة إدوارد تايلور (١٨٣٢- ١٩١٧ Edward Burnett Tylor)[٢] الذي افترض أن المجتمعات تتطور حسب تطور فكرها الديني. حيث افترض تايلور أن المجتمعات تتطور من الفكرة الإحيائية إلى الوثنية وتعدد الآلهة، حتى تصل إلى فكرة التوحيد[٣]. وكما يبدو أن ماكس فيبر تأثر بنظرية تايلور الأنثروبولوجية وفلسفة أوجست كومت، من حيث ربطه التطور الاجتماعي بتطور فكرة الدين، فإن كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣ Karl Marx)[٤]، تأثر بالنظريات الأنثروبولوجية التي ركزت على التطور التقني وارتباطه المباشر بالتغير الاجتماعي، وبالذات نظرية لويس مورجان (١٨١٨ -

---

(١) Max Wiber, The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism, translation by Peter Baehr and Gordon C. Wells, England: Penguin Books. 1964

(٢) انظر نقد إدوارد تايلورفي Edward E., Evans-pritchard, Theories of Primitive Religion, Oxford: Clarendon Press.1965

(٣) ذات الفكرة التي تربط التطور الإنساني بالأفكار، موجودة لدى المفكر الفرنسي أوجست كومت (١٧٩٨ - ١٨٥٧ August Comte)، حيث ربط مراحل التطور أو حاول توصيفها بميزتها الفكرية والدينية.

(٤) In Dino Felluga, Introduction Guide to Critical Theory, www.cla.purdye.edu/english/theory

١٨٨١ Lewis Henry Morgan)[١]. حيث اكتفى مورجان بتوصيف التغير عبر تصنيف المجتمعات إلى ثلاثة مستويات، مجتمعات متوحشة، وأخرى بربرية (وهي مرحلة متوسطة) والعليا المتحضرة، وهذا التقسيم مرتبط بمستويات التطور التكنولوجي للمجتمعات، حيث ينعكس التطور التكنولوجي على طبيعة العلاقات الاجتماعية وقواعدها وقوانينها. ماركس أضاف إلى تفسير مورجان للتغير الاجتماعي عنصر التغيير بأدوات الانتاج، وأبرز ما قدمه ماركس هو ربط التغيير بالمنهج الجدلي، حيث ربط التطور والارتقاء بفكرة التغيير الثوري. إميل دوركهايم (١٨٥٨ – ١٩١٧ Emile Durkheim)[٢]، ربط التغيير الاجتماعي، بتقسيم العمل، المرتبط بدوره بالفردية الحديثة. وهنا يصعب القول أي منهما شَكّل الثاني، هل تقسيم العمل والتطور التكنولوجي عزز الفردية، أم أن الفردية عززت تقسيم العمل. كما طور (دوركهايم) فكرة الانحراف أو عدم التطابق بين القيم الفردية والقيم الجماعية (Anomie) وهو تعبير عن عدم التطابق بين القيم الفردية والقيم الجماعية، أو هو عجز القواعد الأخلاقية عن تحقيق الترابط الفعال بين الفرد والجماعة، واعتبرها واحد من ديناميكيات التغيير في المجتمع. وبالتزامن مع دوركهايم، ولكن بشهرة أقل بكثير، كان عالم الاجتماع الألماني، فرديناند تونيس (١٨٥٥ – ١٩٣٦ Ferdinand Tonnies)[٣]، الذي ميز بين نوعين من التجمعات

---

(١) أنظر Lewis Bernhard J. Stern and Henry Morgan, Today: An Appraisal of His Scientific Contributions, *Science & Society*, vol. 10, no. 2, pp.172–176, 1946

(٢) Emile Durkheim, www.britannica.com/mechanical-and-organic-solidarity

(٣) Ferdinand Tonnies, Community and Society, translated and edited by Charles P. Loomis, New York: Dover Publication, INC, 2002

البشرية، النوع الأول سمّاها الجماعة (Community)، حيث العلاقة بين أفرادها محكومة بالتقاليد، والتعاطف والتعاضد[١]، وهي شبيهة بفكرة العصبية عند ابن خلدون[٢] في الحديث عن نشوء وانحلال الدول[٣]. والنوع الثاني المجتمعات (society) حيث تكون العلاقة بين الأفراد تعاقدية، عقلانية (مبنية على المصلحة) وغير عاطفية، وهي ما اعتبرها ابن خلدون تحلل للعصبية وبدء "زوال العمران"، حيث تؤدي سيادة العلاقات المصلحية والعقلانية إلى تحلل الروابط بين الجماعة التي أنشأت الدولة. هربرت سبنسر (١٨٢٠ – ١٩٠٣ Herbert Spencer)، ربط التغير الاجتماعي بالتغير البيولوجي، وهو متأثراً بنظرية التطور البيولوجي لدرجة جعل منها النموذج لفهم وتوصيف التغير الاجتماعي ووصف المجتمع بأنه كيان بيولوجي، وبقي المجتمع حسب نظرية سبنسر يتغير حسب قواعد خارجية، إذ أنه عرَّف التغير أو التطور الاجتماعي بمراحل التغير والتطور البيولوجي: (الكائنات العضوية والمجتمعات الإنسانية تحكمها ذات القواعد، قواعد التطور الطبيعي، الانتقال من مرحلة عدم التحديد، وعدم التماسك، والتجانس التام، إلى مرحلة التحديد واكتساب الملامح، والتماسك، والاختلاط والتنوع)[٤]. كل هذه

---

(١) يمكن تمييز هذا المفهوم بصعوبة عن تصورات ابن خلدون. حيث وصف في مقدمته نشوء وتحلل الدول بعملية دورية مستمرة.

(٢) مقدمة ابن خلدون، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤.

(٣) Herbert Spencer. www.britannica.com

(٤) أنظر، وليم فورم، الموسوعة البريطانية.
http://www.britannica.com/topic/social-change/Historical-background

التفسيرات، والعديد غيرها، كانت إما تذهب كما ذهب ابن خلدون إلى التطور الدائري، حيث ترتقي المجتمعات وتتحلل بفعل القواعد التي تحكم العصبيات الاجتماعية ودورها السياسي. أو أن المجتمعات تتطور وترتقي، أو أنها تتدهور وتتحلل كما ذهب بعض مفكري القرن العشرين ومن أبرزهم أزوالد شبنغلر (Oswald Spengler ١٨٨٠– ١٩٣٦)[١]. وكل محاولات تفسير التغيير، لها قيمه نظرية ولا شك، ولكنها تفسر التغيير بعوامل ليست ذات طبيعة يُمكن لعلم الاجتماع التعامل معها. والمطلوب من وجهة نظر هذه الدراسة تقديم التغير الاجتماعي في سياق علم الاجتماع، بحيث يصبح علم الاجتماع قادر على خدمة المجتمعات، ومساعدتها لإدارة عمليات التغيير، وتقليل المخاطر والآلام المصاحبة لها. إن الحماس للتغير أو رفضه لا يخدمان الهدف وهو إدارة عمليات التغيير. لكن المطلوب التعامل العلمي المنهجي مع واقعة التغيير الاجتماعي، والمساعدة على فهمها اجتماعياً، والتعامل معها بأدوات مناسبة وفعالة. وربما أكثر مَن حاول كشف عدم علمية محاولات تفسير الظواهر الاجتماعية بأسباب فوق اجتماعية، المفكر أشعيا برلين (Isaiah Berlin ١٩٠٩– ١٩٩٧)[٢]. حيث أصر على أن التركيز على السببية يلغي الحرية، ويجعل الفعل الإنساني بلا معنى إنساني. كما أن تغييب فهم العلاقات بين المؤثرات "التي تؤثر"، والمتأثرات "التي تتأثر" يجعلنا عاجزين عن فهم العلاقة المعقدة في الفعل الإنساني. وربما أهم أطروحة لبرلين تهم هذه الدراسة

---

(١) أزوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية. ترجمة أحمد الشيباني، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤.

(٢) Isaiah Berlin, Four Essays on Liberty, Determinism and responsibility, London: Oxford University Press. London, 1954.

هي أن (القيم مخلوق إنساني وليست منتج أو معطى من الطبيعة) يمكننا أن نكتشفه بمعزل عن الإنسان. التطوريون الجدد (Neo-evolutionists)[1]، قدموا ثلاثة أفكار مختلفة عن مجمل نظريات التطور التي سبقتهم. أولاً: المجتمعات لا تمر بذات المراحل في عملية التطور، حيث أبرز كُتَّاب هذه المدرسة الاختلافات بين المجتمعات والعلاقات التي تحكم كل منها. يضاف إلى هذا أن التطور الاجتماعي ليس محكوماً ومحتوماً بنموذج سابق على وجود المجتمعات وعلى بنيتها الداخلية (Predetermined or inevitable)، ولكن التغير الاجتماعي يمكن فهمه بمنطق الاحتمالات، وهذا يجعل التغير الاجتماعي مستقل تماماً عن فكرة التقدم والتطور والتخلف. وربما هذا الفهم هو الأقرب لفهم هذه الدراسة، باستثناء أن هذه الدراسة لا تذهب إلى محاولة تفسير التغيير الاجتماعي، ولكنها تركز الجهود على محاولات إثبات وجود هذه الظاهرة والتعامل معها ومعرفة حدودها.

٢. قد يستسلم الكثيرون لغواية تفسير التغير الاجتماعي والحوارات التي تتم حول هذا الموضوع المشار إليها أعلاه، ولا يمكن لي أن أنكر أن الحديث عن إيجاد تفسيرات لظاهرة التغير الاجتماعي خارج إطار المجتمعات وآليات تغيرها له جاذبية كبيرة ويساعد على تحفيز التفكير الفلسفي، ولكن الحقيقة أنه لا يساعد علماء الاجتماع في بناء نماذج قياسية للتعامل مع ظاهرة التغير الاجتماعي والمساهمة في أن تبقى

---

[1] وليم فورم، الموسوعة البريطانية، http:/www.britannica.com/social-change/Historical-background. من أبرز كتاب هذه المدرسة، عدد من الأنثروبولوجيين، مثل فرديناند تونيس (Ferdinand Tonnies) و رالف لينتون (Ralph Linton) و ليزلي وايت (Leslie A. White) و جوليان ستيوارد (Julian H. Steward).

ظاهرة التغير الاجتماعي مصدر إثراء للمجتمع وقابلة للإدارة. فكثير من المجتمعات التي عجز باحثيها عن استيعاب ظاهرة التغير الاجتماعي، وبناء نماذج للتعاطي معها، فشلوا في إدارة عمليات التغيير، وبعضها دفع ثمناً غير مبرر لَهَا، حيث كان الجهل والحوار غير العلمي حول التغيير الاجتماعي هو أساس غياب القدرة على إدارة التحولات الاجتماعية. لذلك وحتى لا تقع الدراسة في مجال غياب الجدوى والقيمة، التزمت بأن تساهم بتقديم محاولة تساعد على إدارة عمليات التغير الاجتماعي، وتُخص التعاطي مع وإدارة عمليات التحول في القيم، وهي من الصعوبة بمكان لأي مجتمع أن يتعامل معها ويديرها بثقة ودون مشكلات. وهذا يتطلب منها أن تلتزم بما يلي[1]:

أ - رفض محاولات تفسير تغيير قيم الزواج والأمومة لدى طالبات الجامعات في المملكة العربية السعودية. فأي محاولة للتفسير ستنقل هذه الدراسة خارج سياق علم الاجتماع وتضعها في سياقات لتقييم هذه الظاهرة واتخاذ موقف منها، وليس التعاطي معها وإدارتها.

ب -التأكيد على محاولات إثبات وجود الظاهرة ووصف بعض عناصر ديناميكيتها الداخلية، وعلاقتها مع بعض المتغيرات في المجتمع السعودي.

---

[1] من الجدير التذكير هنا أن هذه الدراسة لها طابع نظري أكاديمي، تؤسس لمقاربات للعديد من الدراسات التطبيقية ضمن المحددات المشار إليها في هذا الجانب (فهم وتحليل ديناميكيات الظاهرة دون الدخول بمحاولات تفسيرها أو تقييمها)، هذه الدراسة لا تدعي أنها تقدم التصور النظري المنهجي مع كل ممكناته التطبيقية. بما في ذلك الجوانب التطبيقية للاستبيان الذي تناول قيم الزواج والامومة لدى الطالبات. فما تبدى من معلومات قد تقود إلى طيف من الاستنتاجات التطبيقية.

ج -كشف العلاقة بين التحولات في قيم الزواج والأمومة مع بعض المتغيرات مثل تعليم الوالدين، المستوى الاقتصادي[١].

٣. ضرورة الحديث عن تغييرات محددة ومعينة. الحديث عن التغيير الاجتماعي ككل، يحول التغير الاجتماعي إلى مفهوم ميتافيزيقي، ويقود إلى تفسيره بأدوات ما وراء علم الاجتماع، وتفقدنا علمية علم الاجتماع. لذلك من الضروري الحديث عن تغييرات اجتماعية محددة. صحيح أن المجتمع يتغير كله، ولكنه يتغير من خلال ديناميكا محددة. وأي محاولة لتناول التغيير في عمومه تفقدنا فهم وقائع التغيير وآلياته الداخلية. إذ أن الاستجابة للتغيرات وضمان أن تكون عنصر إثراء يتطلب فهم التغييرات نفسها. والحديث عن تغيير دون تغييرات محددة تفقد المجتمعات القدرة على التعامل مع هذه التغييرات، أو تترك عمليات التغيير تتم دون ضوابط. وهذا له مؤديات كثيرة أكثرها خطراً هو خروج بعض التغييرات عن السيطرة. فمعروف أن كل عملية تغيير لها قوتها الدافعة، ولها قوتها المقاومة والممانعة[٢]. إلا أنّ ترك هذه القوى تتفاعل دون ضوابط ودون قواعد وآليات مؤسسية وقانونية قد يؤدي إلى نتائج كارثية. وانطلاقا من هذا الفهم تركز الدراسة على تقديم وصف دقيق وموضوعي لعملية التحول، مما قد يساعد على التعامل معها.

---

[١] في المستقبل يمكن تتبع العلاقة بين التحولات في قيم الزواج والامومة والاسرة مع التحولات في قيم أخرى مثل قيم العمل، قيم العلم والتعلم، وغيرها. كشف هذه الارتباطات يساعد بشكل مباشر أو غير مباشر على إدارة التغيرات وجعلها مفهومة وقابلة للإدارة.

[٢] وليم فورم، الموسوعة البريطانية، انظر:
(http://www.britannica.com/topic/social-change/technological-innovations)

٤. عمليات التغيير التي تتم في المجتمعات، ليست مجانية، وليست تعبيراً عن حالات مزاجية، او انحرافات سيكولوجية للأفراد أو لعدد كبير من الأفراد. التغييرات الاجتماعية، وبالذات التي تبنى على تحولات عميقة في القيم، هي تعبير عن نزوعات ورغبات لدى طيف متمدد (وليس ساكن) من الأفراد. التغييرات الاجتماعية التي تبنى على تحولات في القيم، هي من أكثر عمليات التغيير الاجتماعي عمقاً وحِدةً وخطورة، ولا يمكن وقفها أو تحديها او الاكتفاء بتقييمها والحكم عليها بالقبول أو الرفض. إن علم الاجتماع، وبالتالي الإدارة العامة للدولة، تميَّز بين انحرافات لأفراد، أو لمجاميع فردية، وبين التغير الاجتماعي. وأهم فرضية مركزية لهذه الدراسة هي أن سلوك الأفراد موجه بغايات وليس مجاني أو مزاجي، وأن القيم هي الجسر الذي ينظم حركة الفرد مع بقية المجتمع، وعلى هذا الجسر يتم إنشاء قواعد السلوك وطرائق العمل المنظمة سواءً أكانت بشكلها المؤسسي الصريح والواضح، أو بصيغ ضمنية للعديد من القواعد أو من خلال "سلة الخيارات الاجتماعية"[١].

٥. التحولات في القيم لا تختصر ولا تمثل كل التغييرات الاجتماعية. بل هي إشارة إلى حتمية التغييرات. وأهميتها في أنها لا تكتفي بأن يكون التغيير مجرد توفر لخيارات جديدة للأفراد ضمن النظام الاجتماعي العام، بل هي تؤدي إلى تغيير عميق في النظام الاجتماعي وقواعده نفسها[٢]. وخصوصاً أن التغييرات في القيم لدى المرأة،

---

[١] مفهوم سلة الخيارات الاجتماعية من أهم المفاهيم المنهجية التحليلية في هذه الدراسة والذي سيتم توضيحه بجزء خاص ضمن الجزء النظري.

[٢] انظر في هذا الخصوص كينيث أرو

لها قيمة خاصة. حيث تشير معظم الدراسات الأنثروبولوجية أن النساء في المجتمع الإنساني، هن حّراس القيم. والتحول في القيم لدى المرأة، خصوصاً في قيم الزواج والأسرة والأمومة، له آثار لا يمكن تلافيها بمجرد الرفض والقبول. حيث لا توجد قوة في المجتمع تستطيع أن تمنع هذه التحولات، أو تمنعها من أن تكون مؤثرة[١].

٦. تطبيق مبدأ عدم التحديد ورفض المقاربات السببية والتقييمية في الدراسات الاجتماعية، والتركيز على الترابط بين المتغيرات ذات العلاقة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية أن تقدم الدراسة توضيحاً دقيقاً للمتغيرات ذات العلاقة، ولماذا تم اعتماد هذه المتغيرات. من جهة أخرى هناك لدى الباحثة تصور عن إمكانية تطبيق مبدأ عدم التحديد على الدراسات الاجتماعية مما يجعل المقاربات السببية غير ذات قيمة علمية أو معرفية. إذ أن مبدأ عدم التحديد يعني بأنه منذ اللحظة التي بدأ فيها التغيير، لم يعد السبب المفترض للتغيير قادر على التأثير على عمليات التغيير نفسها. حيث أن المجتمع قبل بدء عملية التغيير مختلف عن المجتمع الذي تغير عند لحظة ما وانطلقت ديناميكيات التغيير فيه. وبالتالي فإن التركيز على السبب يفقدنا القدرة على فهم ديناميكيات التغيير ومتابعة تطورها. لِذا يمكن تتبع ما نشر عن المجتمع السعودي أو أي مجتمع عربي في ستينيات القرن الماضي، ومقارنته

Kenneth J. Arrow, Social Choice and Individual Values, New York: John Wily & Sons, 1951.

[١] بوجـــا بونـــدال: http://www.yourarticlelibrary.com/sociology/essay-on-social-change-meaning-characteristics-and-other-details/8590/

بواقع المجتمعات العربية الآن. المجتمع الذي وصفته بعض الدراسات قبل سنوات يكاد لا يشبه المجتمع الحالي الذي نعيش فيه. فمثلا، نقد الدكتور هشام شرابي للبنية الأبوية في المجتمع العربي يكاد لا ينطبق على واقع المجتمعات العربية الآن[١]. ربما التوصيف الذي تتبناه هذه الدراسة، من أن الفعل الاجتماعي يطلق ديناميكيات مختلفة كماً ونوعاً، وهو ما ذهب إليه صموئيل هنتغتون (١٩٢٧ – ٢٠٠٨ Samuel P. Huntington)[٢] في كتابة عن النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة. حيث كانت المتابعة لمتغير مركزي وهو النظام السياسي في مجتمعات تمر بعمليات تحول اجتماعية وثقافية وقيمية عميقة وسريعة، فمحاولات تحديث هذه المجتمعات كانت تؤدي إلى تغييرات مرتبطة مع حالة عدم استقرار ثقافي وسياسي، كما أن محاولات تغييرها وتحديثها أدت إلى نتائج من نوع مختلف. والحل بالنسبة لهنتغتون هو إيضاح البنية المؤسسية للمجتمع[٣]، وهذا يعني التركيز على الديناميكيات الداخلية للمجتمع التي تحمل عمليات التغيير. كما أن الفاصل الزمني بين الوقائع وتوفر المعلومات حولها، يجعل من الضرورة تطبيق مبدأ عدم التحديد على دراسات التغير الاجتماعي. فهناك فترة قد تكون طويلة بين بدء حصول الوقائع الاجتماعية وبين توفير البيانات التي تتحول إلى معلومات قابلة لأن تتحول إلى معرفة مؤسسية.

---

[١] هشام شرابي، البنية البطريكية: بحث في المجتمع العربي المعاصر، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٧.

[٢] Huntington, Samuel P., Political Order in Changing Societies, Ylae: University Press, 1968.

[٣] المعضلة الكبرى للسياسة هو تأخر تطور البنية المؤسسية خلف التغييرات الاجتماعية والاقتصادية.

٧. تَفَرُّد التجارب الاجتماعية وعمليات التغيير. لا توجد قوانين عامة لعمليات التغيير يمكن تطبيقها على كل المجتمعات، لكل مجتمع ديناميكياته الخاصة للتغير. إن التغييرات في البيئة والمناخ والوضع الاقتصادي، ونموذج سلوك الأفراد، وقواعد التكيف مع البيئة، والبنية المؤسسية والثقافة والفنون السائدة تختلف عبر المجتمعات وعبر المجتمع الإنساني. لذلك لا يمكن تطبيق نموذج وصفي لعمليات التغيير في مجتمع على مجتمع آخر. ويمكن القول أن كل مجتمع (لكل دولة) يمر بتجربة تغيير وتحولات خاصة به. صحيح أن هناك عناصر تشابه. ولكن بالتأكيد هناك عناصر تمايز واختلاف، لذلك من غير المجدي تطبيق تجربة مجتمع على مجتمع آخر. فلا يمكن الحديث عن ثورة تحصل في المجتمع السعودي على غرار تلك التي حصلت في أوروبا في القرن السابع عشر. وهنا يلعب مبدأ عدم التحديد دوره. فحين يحصل التغيير في مجتمع ما، بالتأكيد هناك تأثير لهذا التغيير على المجتمعات الأخرى، وبالتالي تصبح ديناميكيات التغيير في المجتمعات الاخرى لها شكل مختلف فيما لو بدأ فيها التغيير فِعلياً ولم يأتي ثانياً او ثالثاً او خامساً.

٨. تميز وفرادة التجارب الاجتماعية، وعدم قابليتها لأن تصاغ بنماذج قياسية أو معيارية، كرس منهج الفهم. وهو المنهج الذي تشكل في بدايات القرن العشرين، وفي ذروة ثورة العلوم الفيزيائية، وذلك لتمييز "الفهم" كمقاربة لعلم الاجتماع يتميز من خلالها عن غيره من العلوم ليس فقط في موضوعه بل وفي منهجه أيضاً. حيث توسع في شرح هذه المقاربة ماكس فيبر في مقالته (١٩١٣) "الفهم التأويلي

للفعل الاجتماعي" (The interpretive Understanding of Social Action)[١].

وتحول قيم الزواج والأمومة لدى طالبات الجامعة في المجتمع السعودي، واقعة أولية تحتاج إلى الفهم كمقاربة للتعامل معها علمياً من حيث إداراتها وإدارة نتائجها وآثارها. إذ يذهب ماكس فيبر في مقالته المشار إليها أعلاه، إلى أن الفعل الاجتماعي: (قد يكون صريح أو مجرد موقف داخلي ذاتي، وقد ينطوي على تدخل إيجابي بأي حالة من الحالات المحيطة، أو بالامتناع الإرادي المخطط له عن أي تدخل، أو ربما قبول وتعايش سلبي مع الحالة الاجتماعية. والفعل الفردي يصبح اجتماعياً بفضل المعنى الشخصي المتصل به عبر فعل الفرد أو الأفراد. وهو يأخذ بعين الاعتبار سلوك الآخرين، والتوجه نحو خياراتهم)[٢]. الفعل الاجتماعي هنا يأخذ معناه مما هو متاح للأفراد من خيارات داخل المجتمع. والخيارات ليست قائمة نختار منها، ونترك الباقي. بل هي سلة ومنظومة متكاملة، وهي متعلقة بالمعنى والموقف ليس فقط نحو الذات بل والآخرين أيضاً.

سلة الخيارات الاجتماعية:

موضوع الخيارات الاجتماعية ليس جديداً. حيثما كانت هناك محاولة لفهم العلاقة بين حدود العمل الفردي من جهة وحريته في اختياراته، ومن أبرز من أشار للمفهوم

---

(١) Mats Ekstrom, Casual Explanation of Social Action: The Contribution of Max Weber= =and of Critical Realism to a Generative View of Casual Explanation in Social Science, Acta Sociology, vol. 35, no. 2, pp.107-122, 1992.

(٢) May Brodbeck, Meaning and Action, in Reading in the Philosophy of the Social Science, May Brodbeck (ed.), London: Collier-Macmillan, 1963.

أشعيا برلين (١٩٠٩ -١٩٩٧ Isaiah Berlin) وذلك في سياق دراسة الحتمية والمسؤولية. إذ يقول: (كثير من التعابير اللغوية تؤكد بشكل صريح وواضح على تجاوز مجرد إدراك الاحتماليات المنطقية للبدائل، نحو إدراك وجود البدائل المختلفة عن تلك التي تم إدراكها واختيارها.... ولا يوجد من يرغب في إنكار حقيقة أننا نجادل حول أفضل البدائل ضمن كل البدائل المتاحة والمحتملة المتاحة للإنسان في الحاضر والماضي والمستقبل)[١]. وتنحصر محاولة برلين في توضيح مدى الحرية والحتمية من منظور فهم ودراسة التاريخ، لكنه لا يتقدم نحو فهم سلة الخيارات الاجتماعية (البدائل)، التي أثبت أنها موجودة بطريقة فيها الكثير من الوضوح لدرجة البداهة.

المحاولة الأكثر وضوحاً هي محاولة كينيث آرو (Kenneth J. Arrow)[٢] حيث حاول أن يبني اطروحته على مقاربة رياضية خاصة أكثر مما كان معنياً بتأصيل ما ذهب إليه بالاعتماد على تراث علم الاجتماع أو علم الاقتصاد. ولكن كتابه يعتبر من أهم المراجع في دراسة السلوك من منظور اقتصادي وتسويقي واجتماعي سياسي. وقد تناول فكرة التصويت، والتناقض في خيارات التصويت، ولكن فكرته المركزية هي الخيار الاجتماعي وعلاقته بقيم الأفراد. حيث يؤكد أن (القيم الاجتماعية لا تعني شيئا أكثر من كونها خيارات اجتماعية). ولكن في الحقيقة أَنَّ القيم هي تجلي من تجليات الفرد، فلا يمكن للقيم أن يحملها إلا الأفراد الحقيقيون الذين يعيشون فيزياء المجتمع وثقافته ووجدانه، ولا يمكن للقيم أن تتجلى بعيداً عن الوجود المادي للفرد. ومن وجهة نظر

---

[١] برلين، أشعيا، مرجع سابق، ص ٦٧٩.

[٢] Kenneth J. Arrow, مرجع سابق p. 106 ,

آرو، فإن الجسر بين الفردية والجماعية هي العقلانية الجماعية، أو ما يمكن أن يسمى ببداهة المجتمعات، حيث يؤكد على أن (العقلانية الجماعية ليست أكثر من تحول ..... من المستوى الفردي إلى المجتمع).

النموذج الذي تسعى هذه الدراسة لتقديمه يقوم على ما يلي:

أولاً: افتراض حقيقة أن القيم تتغير وليست ثابتة.

ثانياً: أن الخيارات الاجتماعية ليست محدودة، بل هي سلة تتغير محتوياتها مع التطور الزمني والمؤسسي والثقافي والقيمي للمجتمع.

ثالثاً: أن التحول في القيم يتضمن بالضرورة تغيراً في سلة الخيارات. أي أن المجتمعات تتغير إما بإتاحة خيارات جديدة للأفراد وقواعد جديدة لتحقيق رغباتهم وإشباع حاجاتهم. أو أن تحول قيم الأفراد يؤدي إلى تبلور خيارات جديدة وقواعد جديدة تحكم العلاقة بين الفرد والمجتمع عبر طيف واسع من محددات السلوك، بِدَايةً من الملابس وصولاً إلى الزواج وطرق البناء والنوافذ في البيوت.

وتنطلق هذه الدراسة من هذا الكشف، للتأكيد على خمسة مكونات لنموذجها التحليلي "سلة الخيارات الاجتماعية":

١. القيم: إن قيم الأفراد، هي الجسر الذي يربطهم في المجتمع. فحاجات الأفراد لم تتغير عبر التاريخ، ولكن طرق تلبية هذه الحاجات تتغير من مجتمع لآخر، ومن منظومة قيم لأخرى. والاختلاف في القيم يجعل التغير الاجتماعي والتقني الذي يجعل التغيير في وسائل تلبية الحاجات أمراً حتمياً[(١)] وقيم الأفراد هي العنصر الذي

(١) انظر في هذا الخصوص موقع دليل علم الاجتماع (http://www.sociologyguid.com/social-change/factors-of-change.php).

يتعرفون من خلاله على بعضهم البعض كأشخاص[1] ينتمون إلى مجتمع معين. فالقيم المشتركة بين الأفراد هي التي تكون بداهتهم الجمعية. وهي التي تجمعهم ببعضهم. ولكنها تتغير بشكل مستمر، وبسرعات متفاوتة. وعمليات التغيير تتم بشكل متزامن (دون أن تتكشف طبيعة العلاقة بينها) مع متغيرات من خارج النظام الاجتماعي مثل الظروف الطبيعية: أوبئة، مجاعات، كوارث طبيعية، وفرة للموارد او ندرة لها، او بفعل تطور في النزوعات والرغبات الفردية نتيجة لمعرفة مكتسبة أو تجارب ذهنية جمالية او ثقافية، أو معايشة لتجارب الآخرين. من جهة أخرى فإن القيم منظومة وليست مجموعة عناصر متجاورة زمانياً ومكانياً. فما يجري من تغيرات على القيم تجاه قضية ما، يقتضي تغيير الحكم على القيم تجاه العديد من القضايا الأخرى. وهناك محاولات لتصنيف القيم من حيث مركزيتها وأهميتها في منظومات القيم. ولكن هذه التراتبية على فرض أنها موجودة ليست هي نفسها في كل المجتمعات والثقافات. التحول الذي يتم على مستوى القيم يؤثر على الخيارات، فإن لم يكن بشكل فوري لكنه بشكل كامن. كما أن توفير خيارات جديدة وقبولها من قبل المجتمع عبر القوانين والمؤسسات والأنظمة، يؤثر على القيم. فلا تجري التغيرات على مستوى الخيارات بشكل معزول عن التحول في القيم، وإن كان أيهما أسبق زمانياً ومنطقياً، مسألة متغيرة ولا تأخذ آلية موحدة في جميع المجتمعات.

٢. الخيارات: إن الخيارات الاجتماعية، وهي التي تتصف بأنها وسائل او طرق او

[1] تميز الدراسة بين مفهوم الكائن ومفهوم الشخص. انظر دراسة الحبابي، محمد عزيز الحبابي، من الكائن إلى الشخص، الكويت: منشورات دار المعارف. ١٩٦٣.

قواعد حاكمة لوسائل وطرق إشباع الحاجات الفردية تجعل هذه الوسائل والطرق مقبولة اجتماعياً. سلة الخيارات هي مجموعة القواعد والوسائل والطرق التي تُمكن الأفراد من إشباع رغباتهم وحاجاتهم بشكل مقبول من بقية أفراد المجتمع. وكما أن القيم في تغَّير دائمٍ، كذلك الخيارات. القيم منظومة متكاملة عضوياً والخيارات كذلك. القيم تبادلية، وسلة الخيارات الاجتماعية كذلك. فلن تكون اجتماعية إذ لم تتضمن موقفاً تبادلياً بين الأفراد[١].

٣. تكاملية عملية التغير بين الخيارات والقيم. السلة هي وحدة متكاملة من القيم والخيارات، تتغير عبر الزمان والمكان. والتغير في منظومة القيم يتبعه تغيرات في سلة الخيارات. ولا يمكن للتغير أن يكون اجتماعياً وناجزاً إذا لم يتضمن تغيرات في منظومة القيم وسلة الخيارات معاً. فالأطر المؤسسية والقانونية تطور سلة الخيارات للتأثير على منظومة القيم وتغييرها. والتغيرات في منظومة القيم تمثل ضغطاً على سلة الخيارات لتطويرها وتوسيعها. أما الدعوات الفكرية والثقافية تغير في منظومة القيم وتوسع حجم ومساحة هذا التغيير للتوصل إلى تغيير في سلة الخيارات.

٤. تفرد المجتمع. فلا يمكن استعارة نموذج تحليلي من فضاء معرفي آخر للتعبير عن المجتمع. مفهوم سلة الخيارات الاجتماعية، يساعد على بلورة نموذج خاص للمجتمع، وليس استعارة نموذج من مجالات معرفية أخرى، لتغطية النقص، أو

---

(١) Max Wiber The Theory of Social and Economic Organization, New York: the Free Press,1964 (فيما يتعلق بتعريف أكثر تحديداً لما هو اجتماعي، يمكن مقارنة مزارع يحرث الأرض من أجل أن ينتج محاصيل لنفسه فقط، لا يكون منخرطاً بفعل اجتماعي. سلوك المزارع يكون اجتماعياً حين يبدأ بتقييم وتنفيذ خطط لتلبية حاجاته ومطالبه استناداً إل حاجات ومطالب مفترضة لدى الآخرين) ص ١١٨.

عدم النضج المنهجي في علم الاجتماع. فكل المحاولات لفهم الظواهر الاجتماعية من خلال نماذج تشبيهية مستعارة من البيولوجيا أو غيرها من المجالات المعرفية، لا تقدم خدمة منهجية مباشرة، بمقدار ما تخفي عدم نضج منهجي. المطلوب أن يكون المجتمع نموذج قائم بذاته ولا يتم تشبيهه بنموذج بيولوجي أو فيزيائي أو كيميائي. مفهوم سلة الخيارات الاجتماعية يساعد على نضاج نموذج اجتماعي يساعد على بناء تصورات معرفية تعكس الفردية في الظواهر الاجتماعية.

٥. سلة الخيارات والقيم الناظمة لها محلية ومؤقتة. لا توجد سلة خيارات كونية دائمة، كما لا توجد قوانين موحدة وكونية لدراسة عمليات التغير في سلة الخيارات لكن كل ظاهرة تحتاج إلى أن تدرس بمفردها بزمانها ومكانها الخاص. وربما في العقود القادمة تتوفر معلومات كافية للوصول إلى نموذج قياسي استنباطي موحد لدراسة التغييرات في سلة الخيارات، كما يمكن للتقارب بين المجتمعات ومنظومات النقل والاتصال أن تجعل من الممكن افتراض وحدة آليات التغيير وتوفر قوانين عالمية استنباطية لفهم التغيير وتوقعه وإدارته.

وبناء على ما تم الإشارة إليه، فإن سلة الخيارات الاجتماعية تحتوي على كل القيم والقواعد الحاكمة لوسائل تلبية الحاجات والرغبات الفردية. وهي لا تنطبق على فرد محدد أو مجموعة أفراد فقط. بل تنطبق على جميع الناس ضمن مجتمع معين، بل إن سلة الخيارات هي التي تمنح المجتمع هويته. حيثما تختلف سلة الخيارات تختلف المجتمعات. وسلة الخيارات تمثل ما هو متاح لكل فرد لتلبية حاجاته ورغباته حسب هذه القواعد دون أن يعاني من عزلة أو من عقوبة. وهذا ما يميز سلة الخيارات الاجتماعية عن تقسيم

العمل. الأعمال المتاحة هي جزء من سلة الخيارات. وبالرغم من ارتباط تقسيم العمل بعوامل خارجة عن خصائص الأفراد إلا أن الوظائف المتاحة للأفراد هي مكون من مكونات سلة الخيارات. إذ يرتبط تقسيم العمل بعوامل جغرافية وثقافية، وأحياناً دينية، ولكن لكل خيار متاح شروطه ومتاعبه ومشكلاته وقيمه. وإذا أغلقت خيارات العمل على فئة دون فئات أخرى أو أُلزِمت به فئة دون أخريات، يصبح المجتمع مقسم إلى أكثر من سلة خيارات بنفس الوقت. وهذا من شأنه كسر وحدة القيم ووحدة البداهة المشتركة للمجتمع. فأهم ما يميز سلة الخيارات لأي مجتمع هي أهلية كل أفراده بخصائصهم المتوسطة للتمتع بهذه الخيارات المتاحة.

وأهمية نموذج سلة الخيارات الاجتماعي أنها توضح ديناميكية التحولات في القيم إلى تغييرات اجتماعية. حيث يسعى الأفراد ذوي القيم الجديدة، الذين يريدون تلبية حاجاتهم ورغباتهم، بقواعد جديدة تحكم وسائلهم وطرائقهم، إلى تكريس قواعد جديدة للوسائل والطرق المعتمدة لتلبية الحاجات والرغبات. ولكن هؤلاء الأفراد ذوي القيم الجديدة، لن يقبلوا بالعزلة والإدانة، وربما العقوبة، بسبب عدم التزامهم بالقواعد القديمة الحاكمة للوسائل والطرائق. لذلك يقومون بمحاولات كبيرة لفرض قيمهم عبر التمسك بخيارات جديدة وجعلها مقبولة من قبل بقية المجتمع، أو رفض خيارات قائمة، مما يتضمن حتماً تغيير في القواعد الناظمة والحاكمة للوسائل والطرق التي يلبي الأفراد عبرها احتياجاتهم ورغباتهم.

من هنا فإن هذه الدراسة تتناول الخط الفاصل بين البعدين الفردي والجماعي. وهذا الخط يمكن توضيحه من خلال البحث في مفهوم الذات. حيث يتجلى هذا المفهوم في أنه توصيف للفرد في تجليه الاجتماعي، أو وصف للمجتمع وحضوره على المستوى

الفردي. المجتمع يحضر من خلال الذات الفردية التي تمثل مجمل منظومة القيم ومجمل سلة الخيارات الاجتماعية. ولكنها تتفاعل مع غيرها من ذوات متشابهة، وفي هذا التفاعل يتشكل المجتمع ويمر بتحولاته وتغييراته.

المجتمع الأبوي:

هناك مستويين للحديث عن المجتمع الأبوي مستوى نظري يتحدث عن مجتمع أبوي مُتخَّيل، ويتم رسم خصائصه على ضوء تصور نظري للمجتمع الأبوي. والمستوى الآخر هو المجتمع الأبوي الواقعي كما يظهر في مجتمعات وثقافات مختلفة معاصرة. وهناك محاولات للبحث فيما تبقى من خصائص المجتمع الأبوي في المجتمعات الحقيقية التي يعيش فيها البشر الآن في القرن الواحد والعشرين[١].

ربما إن المجتمع الأبوي التقليدي الصافي لم يعد موجوداً، إذ أن أهم ما يميز المجتمع الأبوي الصافي الذي يسعى لتأبيد نفسه هو ذلك المجتمع إلى يرفض التغيير، ويُجرم أي سلوك فردي خارج إطار القواعد الناظمة للمجتمع، والأهم أنه يدين أي تحول في قيم الأفراد، يرفض أن يتصاعد البعد الفردي في منظومة قيم "أفراده". إذ يصر المجتمع الأبوي الخالص أو الكثيف، أن الأفراد ملك للمنظومات الوسيطة التي ينتمون لها إجبارياً، وأي تحول في قيمهم عن القيم الأبوية المركزية هو خروج، أو تمرد يستحق الإبعاد

---

[١] هناك حوارات مستمرة حول ما إذا كان المجتمع الأمريكي ما زال مجتمعاً أبوياً ذكورياً أم لا. وفي معرض التعرض لهذا السؤال، ما تزال الكثير من الاجابات ترى أن المجتمع الأمريكي ما زال مجتمعاً ذكورياً. انظر في هذا الخصوص الحوار: http://www.debate.org/opinions/is-Is today's society patriarchal? todays-society-patriarchal

والنفي والإدانة. وإذا انتقل التحول في القيم إلى تغير في السلوك غير النمطي يتم اللجوء إلى قواعد الضبط المختلفة.

ولكن يمكن القول أن كل المجتمعات – التي تصنف أبوياً، أو غير ذلك - تضع قواعد صارمة لضبط عمليات التغيير، ولكن لا يوجد الآن من يدين التغيير ويرفضه، حيث يسعى الجميع لاستيعاب التغيير وتنظيمه وليس منعه. والحديث الآن هو عن مجتمعات أبوية في حالة تحول وتغير. وهناك سيل عارم من الكتابات ذات الطابع الأيديولوجي التي تتحدث عن المجتمع الأبوي. ولكن هناك القليل فقط الذي يمكن الاعتماد عليه للتوصل إلى فكرة موضوعية عن طبيعة المجتمعات الأبوية في القرن الواحد والعشرين. أو بعبارة أدق ما تبقى من الأبوية في المجتمعات المعاصرة [(١)].

لا شك أن هناك الكثير من البقايا القانونية والمؤسسية للمجتمع الأبوي، ولكن الاهتمام ينصب على استمرار هيمنة قيم المجتمع الأبوي على المجتمعات المعاصرة، وتأثر سلوك الأفراد وخياراتهم بهذه القيم. وإحدى أهم المفارقات التي تم كشفها والكتابة حولها، هو هيمنة قيم المجتمع الأبوي على مجتمعات يبدو أنها تسير نحو التحديث والحداثة.

والحقيقة هنا أن الحداثة لها عدة أركان ربما أهمها، وله علاقة بهذا البحث، هو تصاعد البعد الفردي في وعي الذات. حيث أن القيم الأبوية تلزم الأفراد على أن يَعَوا ذواتهم ويتعاملوا مع أنفسهم ومع الآخرين، من خلال كونهم جزء من وسيط بينهم وبين المجتمع. في المجتمعات الأبوية، هناك هيمنة لحس الانتماء الطائفي، والقبلي

---

(١) يمكن مراجعة موقع: "Our patriarchal society"، وعنوانه
http://members.iimetro.com.au/~hubbca/our_patriarchal_society.htm

والمناطقي[1]. في حين تتركز قيم الحداثة على تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع بشكل مباشر، أو عبر وسيط تنظيمي يكون من اختيار الفرد وليس مفروضاً عليه مثل لونه أو عرقه أو أصله الجهوي أو دينه أو جنسه.

العنصر الحاسم للتمييز بين درجات الأبوية في المجتمعات ليس وجود البنية الطائفية والعائلية والجهوية، ولكن في مدى الاعتراف القانوني بهذه التقسيمات، ودرجة إلزام الأفراد على هذه التقسيمات، وحرمانهم من وجود بدائل لتنظيمات مدنية وسيطة من اختيارهم.

من جهة أخرى فإن موقف المجتمع من المرأة من حيث درجة طغيان قيم المحافظة على سلوك المرأة، ربما يعتبر معيار من المعايير، ولكن أهم ما يميز المجتمع الحديث هو قدرته على التعامل مع الإنسان الفرد بغض النظر عن (دينه، عرقه، طائفته، جنسه، مكان إقامته، أو أصله الجغرافي، إضافة إلى مستوى تعليمه، ومستوى دخله). الفرد في المجتمع يكتسب حقوقه استناداً إلى وجوده الفيزيائي، بغض النظر عن ما يلحق بهذا الوجود من خصائص عرضية.

ولكن هناك معيار ما زال يستخدم بكثرة، وأحياناً يُساء استخدامه وتوظيفه وهو عنصر الملائمة. فهناك حاجات خاصة للفرد الإنساني، ومساعدة يحتاجها حتى يتمكن من القيام بدوره مثل قيام المرأة بدور الزوجة والأم. ولكن هذا لا يعني أن يتم حرمان المرأة من كل حقوقها من أجل تمكينها من بعض ما تحتاج إليه لتقوم بدورها كزوجة وأم في آنٍ واحدٍ. فأهم صورة تذكر هنا هي صورة المساومة وترسيخ المفاهيم التقليدية عن

[1] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤.

المرأة. حيث يتم تعزيز مشاعر الأمومة لدى المرأة بشكل مكثف ومكرر من قبل المجتمع وذلك من خلال الحوار الضمني بينها وبين قيم المجتمع الأبوي للحفاظ على دورها التقليدي.

وحتى تتوضح ديناميكا التفاعل بين فردية المرأة والمجتمع الأبوي، لا بد من الإشارة إلى نقطتين مركزيتين: الأولى هي أن المرأة جزء لا يتجزأ من ديمومة المجتمع بالرغم من محاولة ترسيخ دورها التقليدي وإغفال طبيعة تغيير ذلك الدور السائد. فلا يوجد مجتمع، مهما كانت خصائصه لا توجد به المرأة كفاعل أساسي لنموه وتطوره ، وإقرار المرأة بقيم المجتمع شرط لبقائه واستقراره. كما أن التحولات في قيمها مدخلاً لتغيُّير المجتمع[١]. وانطلاقاً من حقيقة أن بدء الحداثة، أياً كان تاريخ انطلاقها، هو بدء عملية التغيير في المجتمع وقيمه ومنظور أبناءه وبناته للحياة والكون، والذات والآخر، وأن ما يختلف هو وعي هذه الحقيقة أو عدم وعيها[٢]، والحداثة ربما تبدأ بدايات مختلفة في المجتمعات المختلفة، ولكن العنصر المشترك بين كل المجتمعات هو بدء عملية التغيير. وتتباين المجتمعات في وعي التغيير وحتميته كمكون من مكونات الحداثة. وربما أن التحولات في القيم هو بداية قبول المجتمع لاستحقاقات الحداثة وبدء التغيير[٣].

النقطة الثانية هي أن تطور البعد الفردي في قيم المرأة لا يعني التصادم مع المجتمع بل انطلاق عملية تحول في قيم المجتمع بكل مكوناته وطبقاته وفئاته، وتمكينه من مغادرة

---

(١) انظر: Women In Patriarchal Societies, : The Origins Of Civilizations ,1992http://history-world.org/Civilization,%20women_in_patriarchal_societies.htm,

(٢) هشام شرابي، مرجع سابق، ص ٢٨-٣٧.

(٣) كينيث آرو، مرجع سابق: قبول المجتمع بأن تتحول قيم أفراده وتتباين ضمن طيف محدد، هو قبول ضمني في التغيير

البنية الأبوية والانفتاح لخيار التبني الواعي لقيم الحداثة التي تعترف بفردية المرأة[١]. إذ أن "وعي الحداثة، .. [ي] مثل رؤية خاصة تنطوي على تغيير الذات والعالم"[٢]. من هنا فإن أهم ما يميز الحالة الراهنة للمجتمع الأبوي المعاصر هو انفتاحه للتغيير. وهذا الانفتاح له عدة تجليات، أهمها هو قبول التغيير ضمن قواعد ومحددات ما تزال فعالة. والخلاصة هي أنه لا يوجد مجتمع أبوي ساكن وغير قابل للتحول، ولكن هناك مجتمع أبوي تتحول قيم أفراده، وتتحول منظوماته الداخلية. إنَّ وعي هذا التحول والإقرار به، والسماح بتجليه في سلوك الأفراد والجماعات، دون أن يُدان أو يُجَّرم أو يُنبذ، هو الشرط الأول من شروط "وعي الحداثة" فردياً وجماعياً.

الدراسات السابقة:

للزواج العديد من الجوانب التي تتفاعل بسرعات متفاوتة مع موجات التغيير، ابتداءاً من الثمانيات من القرن الماضي بدأ العديد من الدارسين والباحثين الاهتمام بموضوع الاختيار للزواج بوصفه من المسائل المهمة لحياة أسرية مستقرة، وموضوعات مثل سن الزواج وتأخره عند الفتيات خصوصاً. وتعد دراسة حطب (١٩٨٣: ٢٢٩) عن تطور بنى الأسرة العربية من أولى الدراسات التي ربطت بين التغيرات الاجتماعية الكبرى والتغيرات في الأسرة، حيث أصبح الزواج أمراً شخصيا، ولم يعد التعدد أمراً مقبولاً إن لم يكن له سبب اجتماعي مقبول، تأخر السن عند الزواج، ضبط النسل باستخدام وسائل مختلفة، ظهور الزيجات المبنية على الحب المتبادل، قبول ظاهرة الزوجة

---

[١] انظربوجا بوندال، مرجع سابق.

[٢] هشام شرابي، مرجع سابق، ص ٣٣.

العاملة وتعديلات على أشكال انحلال العلاقة الزوجية من خلال بروز ثلاث ظواهر فرعية هي: أن نسبة كبيرة من حالات الطلاق تتم قبل الدخول الشرعي أو الزواج الفعلي، وأن أكثر الحالات تتم عن طريق المخالعات، وأصبح حل الزواج ظاهرة نسائية. على المستوى المحلي تتفق جميع الدراسات على ان عملية الاختيار للزواج تمر بتحولات سريعه لها تبعات في إعادة تشكيل وتعريف الفئات الاجتماعية، عن طريق تأكيد المهارات والقدرات في تحديد المكانة والسلطة الاجتماعية ومن ثم ستفسح المجال بشكل أوسع وأكبر بحيث تكون عملية الاختيار لشريك الحياة أكثر عقلانية، من هذه الدراسات الموسى (١٩٨٧) الذي وجد تغير في بعض القيم المادية مثل السن والتعليم، عن التعليم وجدت الدراسة تغير في اتجاه الشباب نحو تفضيل الارتباط بزوجة متعلمه، وما يترتب على ذلك من توجه نحو التجانس في مستوى التعليم بين الزوجين. ونظرا لما هو مورروث بالمجتمع السعودي بخصوص تفضيل بعض الصفات مثل التدين، الجمال وزواج الأقارب، وجدت الدراسة تفضيل أكبر للزواج من مكان الإقامة سواء من الأقارب أو غير الأقارب. دراسة باقادر وباشطح (١٩٨٩) ربطت أيضا بين التغيير في السلطة المعطاة للأسرة في الاختيار للزواج بالتعليم بصفة عامة، وتعليم الفتاة بصفة خاصة، فقد وجد الباحثان ميل متزايد بين الشباب المتعلم للزواج من خارج إطار الأسرة بلغت نسبته (٧٢٪) في مدينة جدة، في مقابل (٢٦٪) ممن يفضلون الزواج من داخل الأسرة. وعن تأثير التعليم على سن الزواج المفضل باعتبار ان السن يشير إلى درجة الخبرة والنضج التي يتمتع بها كل من الفتى والفتاة عند الزواج، مما يؤثر على سلوكهما عند الزواج، وجدت الدراسة أن السن المفضلة للزواج عند الشباب تقع بين ٢٤-٣٠، والفتيات بين ١٦-٢٥ عاماً. باشطح أيضا (١٩٨٨) في دراستها على عينة من

جيل الآباء والأبناء، ورغم أن الدراسة لم تجد فروق بين الجيلين في جوانب مثل أهمية سمعة الزوجة عند الزواج، أصل أهل الزوجة، الشكل والجمال، البكورة والتوجه نحو الزواج الخارجي. إلا أنها وجدت ارتفاع نسبة الزوجات المتعلمات في جيل الأبناء مقارنة بجيل الآباء. وعن أسباب تأخر سن الزواج، وجدت المطيري (٢٠٠٩) والشايع (٢٠٠٨) بأن من أهم العوامل المرتبطة بتأخر سن الزواج العوامل الاقتصادية إلى جانب ثقافة المجتمع والأسره. وعليه، تدني الأوضاع الاقتصادية كغلاء المهور وأزمة السكن وانخفاض الدخل وارتفاع مستوى المعيشة والبطالة جميعها تلعب دوراً اساسياً في تأخر الزواج.

حريري (٢٠١٩) أكدت كذلك في دراستها عن اختيار شريك الحياة لدى الطالبة الجامعية توجه من الأسلوب الوالدي إلى التعارف الشخصي، الذي يعتبر الأمثل من وجهة نظر الطالبات، مما يؤكد على أن اختيار الشريك أصبح عملية فردية بالدرجة الأولى. تناقش الباحثة أيضا أن الاختيار الحر للزواج لايقتصر على الذكور فحسب بل على الإناث أيضا، فاختيار وإن كان يبدأ من جانب الذكور إلا انه يتوقف على موافقة الأنثى، مما يجعل الفتيات طرفاً أساسيا في عمليه الاختيار اليوم، فهي وإن كانت لا تأخذ زمام المبادرة فإنها تتمتع بحق الاعتراض على من لا يحظى بقبولها.

تعد الأمومة من الادوار الرئيسية الذي تسندها الثقافة للمرأة، ورغم ذلك تكاد تنعدم الدراسات المحلية على المرأة والأمومة، وكذلك الحال على المستوى العربي فرغم وجود بعض الدراسات إلا أنها تظل محدودة. تعتبر تصورات الأمومة من العوامل الأساسية في بناء شخصية الفتاة، وهي تصورات تُبنَى انطلاقاً من عملية التنشئة

الاجتماعية التي تبدأ من البيت وصلة الفتاة بأمها التي تساعدها في بناء تقبل ما سيواجهها كأم، ثم المدرسة والمجتمع بكل مؤسساته وأهمها الإعلام.

توصلت لصقع (٢٠١٢) في دراستها على "علاقة مفهوم الذات بتصورات الأمومة لدى الطالبة الجامعية"، عدم وجود علاقة بين متغيري مفهوم الذات وتصورات الأمومة لدى الفتاة الجامعية، ويرجع ذلك إلى أن التكوين المعرفي لمفهوم الذات الذي تتعلمه الفتاة نتيجة الخبرات والمدركات الشعورية كي تبلوره وتعتبره مفهوماً لذاته يأخذ أشكال وهو قابل للتغيير والتعديل نتيجة تفاعل الفرد بالبيئة المحيطة به من جهة، ونتيجة للتصورات والآراء التي يحملها الآخرون عنه من جهة ثانية. لذلك قد تحاول الفتاة ان تُكَون صورة إيجابية عن ذاتها لكن التغيرات الاجتماعية قد لا تتماشى وفقا لما تصبوا إليه وقد لا تفكر في الزواج والاستقرار إلا بعد أن تحقق أحلامها كموظفة لها دخلها المستقل ولها مكانتها العلمية المقبولة بما قد يأخر فكرة تصورها كأم لمراحل لاحقة.

تناقش لصقع (٢٠١٢) إن الحمل مرحلة مهمة وأساسية في حياة الفتاة، ولذلك ترغب أغلبية الطالبات في الحمل، ولكن في طريقهن للنضج واكتمال الأنوثة تحملن معهن شهادة ومهنة، فالشهادة الجامعية تطمئن الفتاة وتعطيها إحساسا بالثقة في المستقبل. أما على مستوى المجتمع فهناك خطابين موجهين للطالبة: النموذج الأول الظاهر هو للطالبة/ الأم المستقبلية التي ستتزوج وتبقى في البيت وتهتم بشؤون الزوج والأطفال، أما الخطاب الثاني الكامن فهو للطالبة/ صاحبة الشهادة الجامعية والمهنة وكذلك الأم المستقبلية التي تعتني بزوجها وأبناءها. فالطالبة مطالبة بتحقيق توافق بين نموذج شخصي لتحقيق نجاح علمي ومهني، ونموذج اجتماعي لتحقيق نجاح أسري، وهذا يتطلب مزج بين النموذج التقليدي والعصري. فالفتاة كطالبة عليها الدراسة بجد

واجتهاد وفي نفس الوقت ترقب الزوج المنتظر لاستكمال النضوج العاطفي والاستعداد لمرحلة الحمل والأمومة، إن التفكير في عدم الإنجاب من وجهة نظر الفتاة يؤدي إلى الإحساس بالحزن والشعور بالوحدة والفراغ على حساب التصور الذي تصبو إليه الفتاة مستقبلاً والمتمثل في الود والانسجام العاطفي مع شريك الحياة، مع تحقيق أمومي أسري ومهني اجتماعي، والإفلات من الضغط والصراع والوصول إلى مفهوم إيجابي للذات.

النتائج:

جدول رقم (١) البيانات الأولية للمبحوثات

العمر	التكرار	النسبة
17	33	%3.3
18	691	%69.2
19	205	%20.5
20	31	%3.1
أكبر من20	40	%4.0
نوع المدرسة	**التكرار**	**النسبة**
حكومي	846	%84.6
أهلي	154	%15.4
الحالة الاجتماعية للوالدين	**التكرار**	**النسبة**
متزوجين	925	%92.5
منفصلين	75	%7.5
مستوى تعليم الأم	**التكرار**	**النسبة**
ثانوي أو أقل	595	%59.5

جامعي وما فوق	405	%40.5
مستوى تعليم الأب	**التكرار**	**النسبة**
ثانوي أو أقل	491	%49.1
جامعي وما فوق	509	%50.9

جدول رقم (٢) الاتجاهات نحو الزواج

م	العبارة	صحيحً		صحيح إلى حد ما		ليس صحيحا		المجموع		النفور
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١	لدي أصدقاء من الجنسين	70	٪7	107	٪10.7	823	٪82.3	1000	٪100	-
٢	تتوقع أسرتي أن ارتبط بزواج من أقربائي	155	٪15.6	269	٪27	571	%57.4	995	٪100	5
٣	يهمني مظهر الرجل الذي سأرتبط به	505	٪50.7	406	٪40.8	85	٪8.5	996	٪100	4
٤	يهمني ألا يقل مستوى تعليم الرجل الذي سأرتبط به عن جامعي	743	٪74.4	191	٪19.1	64	٪6.4	998	٪100	2
٥	يهمني راتب/ دخل الرجل الذي سأرتبط به	626	٪62.7	304	%30.5	68	٪6.8	998	٪100	2
٦	تهمني مشاعري تجاه الرجل الذي سأرتبط به	791	٪79.3	183	٪18.3	24	٪2.4	998	٪100	2
٧	يهمني اقتناعي بالرجل الذي سأرتبط به	953	٪95.4	44	٪4.4	2	٪.2	999	٪100	1

م	العبارة	صحيحً		صحيح إلى حد ما		ليس صحيحا		المجموع		المفقود
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
٨	لا يوجد ما يمنع من الزواج اثناء الدراسة	278	%27.8	423	٪42.3	298	٪29.8	999	٪100	1
٩	أفضل ألا ارتبط بزواج حتى انتهي من دراستي الجامعية	541	٪54.2	282	%28.3	175	%17.5	998	٪100	2
١٠	ليس بالضرورة أن ارتبط بزوج سعودي	190	%19.0	254	%25.4	555	٪55.6	999	٪100	1
١١	لا يهمني إن تزوجت أم لا	245	٪24.5	374	٪37.4	380	٪38	999	٪100	1
١٢	يهمني التعرف على الرجل الذي أرتبط به قبل عقد القران	437	٪43.9	313	٪31.4	246	٪24.7	996	٪100	4
١٣	أرفض الزواج بالطريقة التقليدية	199	٪20	344	٪34.5	454	٪45.5	997	٪100	3
١٣	مهما ساءت حياتي الزوجية لن أفكر بالطلاق	180	٪18	373	٪37.4	445	٪44.6	998	٪100	2
١٤	يخيفني ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع	615	٪61.5	229	٪22.9	156	%15.6	1000	٪100	-
١٥	من صعب الآن الحصول على زوج مناسب	510	٪51.1	381	٪38.2	107	٪10.7	998	٪100	2
١٦	حتى تستمر لحياة الزوجية لابد من التضحيات	749	٪75	232	٪23.2	18	٪1.8	999	٪100	1
١٧	لن أقبل بأن أكون زوجة ثانية	833	٪83.3	126	٪12.6	41	%4.1	1000	٪100	-

م	العبارة	صحيحً		صحيح إلى حد ما		ليس صحيحا		المجموع		المفقود
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١٨	لن أقبل بزواج أتعرض فيه للعنف	978	٪97.8	14	٪1.4	8	٪.8	1000	٪100	-
١٩	لن أقبل برجل متسلط	939	٪93.9	53	٪5.3	8	%.8	1000	٪100	-

جدول رقم (٣) السن المفضل للزواج

السن	أقل من ٢٠	20-21	22-23	24-25	بعد ال ٢٥	المجموع	المفقود
التكرار	12	187	332	325	141	997	٣
النسب	%1.2	%18.8	%33.3	%32.6	%14.1	٪100	

جدول رقم (٤) الاتجاهات نحو الأمومة

م	العبارة	صحيحً		صحيح الى حد ما		ليس صحيح		المجموع		المفقود
		التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	
١	الأمومة هي أجمل ما في الحياة الزوجية؟	610	٪61	335	٪33.5	55	٪5.5	1000	٪100	-
٢	حتى وأن تزوجت و ما زلت على مقاعد الدراسة فلن أنجب حتى أنتهي من الدراسة	527	%52.8	334	٪33.5	137	٪13.7	998	٪100	2
٣	لا أفكر في إنجاب أكثر من طفلين؟	163	٪16.3	246	%24.7	588	٪59.0	997	٪100	3

م	العبارة	صحيحً		صحيح الى حد ما		ليس صحيح		المجموع		المفقود
		التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	
٤	لا أفكر في إنجاب أكثر من ٣أطفال؟	271	٪27.4	314	٪31.8	403	٪40.8	988	٪100	12
٥	ليس لدي تحديد لعدد الأطفال الذين سأنجبهم؟	495	٪50.1	185	٪18.7	308	%31.2	988	٪100	12
٦	كلما قل عدد الأطفال كلما استطاعت الاسرة تقديم الأفضل لهم	599	٪60.2	302	٪30.4	94	٪9.4	995	٪100	5
٧	في نظري لا يوجد فرق بين إنجاب الذكور وإنجاب الاناث؟	727	٪72.8	198	%19.8	73	٪7.3	998	٪100	2
٨	قرار عدد الأطفال الذي سأنجبهم هو قراري أنا؟	156	٪15.6	350	٪35	493	٪49.3	999	٪100	1
٩	قرار عدد الأطفال الذي سأنجبهم هو قرار مشترك؟	713	٪71.6	213	٪21.4	70	٪7	996	٪100	4
١٠	قرار عدد الأطفال الذي سأنجبهم هو قرار يحدده الرجل ويفرضه على الزوجة؟	12	٪1.2	61	٪6.1	922	٪92.7	995	٪100	5
١١	أرغب في التفرغ لتربية أطفالي	215	٪21.5	546	٪54.7	238	٪23.8	999	٪100	1
١٢	لا يوجد ما يمنع من الجمع بين الامومة والعمل؟	768	٪77	193	٪19.4	36	٪3.6	997	٪100	3
١٣	المرأة العاملة ليست أقل من غير العاملة في قيامها بمسؤوليتها تجاه أسرتها؟	599	٪60.1	327	٪32.8	71	%7.1	997	٪100	3

م	العبارة	صحيحً		صحيح الى حد ما		ليس صحيح		المجموع		الفقود
		التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	
١٤	المرأة العاملة ليست أقل من غير العاملة في قيامها بمسؤولياتها تجاه أطفالها؟	573	%57.6	342	٪34.4	80	٪8	995	٪100	5
١٥	المرأة السعودية الآن أكثر وعيا بحقوقها الزوجية	604	٪60.4	336	٪33.6	60	٪6	1000	٪100	-
١٦	استثمار المجتمع في المرأة أكثر أهمية للأسرة من الاستثمار في الرجل	244	٪24.5	496	٪49.9	254	٪25.6	994	٪100	6
١٧	مازال المجتمع يفضل الذكور على الإناث؟	577	٪57.7	335	٪33.5	88	٪8.8	1000	٪100	-

جدول رقم (٥) الارتباط بين عبارات الزواج والسمات الأثنوجرافية للمبحوثات

		تتوقع أسرتي أن ارتبط بزواج من أقاربي				8	
		التكرار	النسبة			التكرار	النسبة
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (ليس صحيح)	139	43%	نوع المدرسة	حكومي (ليس صحيح)	459	55%
	ثانوي (ليس صحيح)	160	60%		أهلي (ليس صحيح)	112	74%
	جامعي (ليس صحيح)	271	68%			لا يهمني ان تزوجت أم لا	

		لا يهمني ان تزوجت أم لا				التكرار	النسبة
		التكرار	النسبة	نوع المدرسة	حكومي (صحيح الى حد ما)	330	39%
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (صحيح الى حد ما)	131	40%		أهلي (ليس صحيح)	72	47%
	ثانوي (ليس صحيح)	105	39%			أرفض الزواج بالطريقة التقليدية	
	جامعي (ليس صحيح)	160	40%			التكرار	النسبة
		أرفض الزواج بالطريقة التقليدية		نوع المدرسة	حكومي (ليس صحيح)	380	45%
		التكرار	النسبة		أهلي (ليس صحيح)	73	48%
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (ليس صحيح)	136	42%			مهما ساءت حياتي الزوجية لن أفكر بالطلاق	
	ثانوي (ليس صحيح)	137	51%			التكرار	النسبة
	جامعي (ليس صحيح)	181	45%	نوع المدرسة	حكومي (ليس صحيح)	371	44%

		مهما ساءت حياتي الزوجية لن أفكر بالطلاق			أهلي (ليس صحيح)	74	48%
		التكرار	النسبة			لن أقبل بأن أكون زوجة ثانية	
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (ليس صحيح)	134	41%			التكرار	النسبة
	ثانوي (ليس صحيح)	112	42%	نوع المدرسة	حكومي (صحيحا)	704	83%
	جامعي (ليس صحيح)	199	50%		أهلي (صحيحا)	128	84%
		لن أقبل بأن أكون زوجة ثانية				لن أقبل بزواج أتعرض فيه للعنف	
		التكرار	النسبة			التكرار	النسبة
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (صحيحا)	255	78%	نوع المدرسة	حكومي (صحيحا)	826	98%
	ثانوي (صحيحا)	229	85%		أهلي (صحيحا)	151	99%
	جامعي (صحيحا)	346	86%			لن أقبل برجل متسلط	
		لن أقبل بزواج أتعرض فيه للعنف				التكرار	النسبة
		التكرار	النسبة	نوع المدرسة	حكومي (صحيحا)	795	94%
ماهو	أقل من ثانوي	318	97%		أهلي	143	93%

					(صحيحا)		
المستوى التعليمي لوالدتك	(صحيحا)						
	ثانوي (صحيحا)	259	97%				
	جامعي (صحيحا)	346	86%				
		لن أقبل برجل متسلط					
		التكرار	النسبة				
ماهو المستوى التعليمي لوالدتك	أقل من ثانوي (صحيحا)	304	93%				
	ثانوي (صحيحا)	254	95%				
	جامعي (صحيحا)	378	94%				

المناقشة:

١. أفادت ٧٣,٢٪ (جدول رقم ٢) من المبحوثات خريجات المدارس الخاصة بأن أسرهن لا تتوقع منهن الزواج من أحد الأقارب، في حين كان هذا الرقم فقط ٥٤,٢٦٪ بالنسبة للمبحوثات اللواتي تخرجن من المدارس الحكومية. النسبة الإحصائية للأسر التي لا تتوقع لبنتها الجامعية أن تتزوج من أحد الأقارب هو ٥٧٪. وهذا يعني أن استثمار الأسر بتعليم البنت يؤدي إلى اعتراف الأسرة بالبعد الفردي لخيارات ابنتهم.

٢. أما شروط المبحوثات على الزواج فهي مثيرة. حيث تم استطلاع ثلاثة شروط هي: عدم تسلط الزوج. حيث اشترطت ما يزيد عن ٩٩٪ (جدول رقم ٢) من المبحوثات على رفض الرجل المتسلط. ونسبة متقاربة من المبحوثات ترفض الزواج الذي قد يتعرضن فيه للعنف. وهذا يعني أن ٩٩٪ من العينة لديهن شروط مرتبطة بتوفر وعي الزوج للمرأة وللزواج. يضاف إلى ذلك أن أكثر من ٩٥٪ من

المبحوثات يرفضن أن تكون أي منهما زوجة ثانية. وهذا مؤشر على تطور جديد لفكرة الزواج. صحيح أن نسبة الزواج الثاني في المجتمع قد تكون أكبر من ٥٪، ولكن هذا قد يكون نتيجة ظروف مختلفة قهرية وإجبارية، وليست خياراً حراً من قبل النساء. هذا التحول يشير بوضوح إلى انزياح حاسم لفكرة الزواج لدى المبحوثات بعيداً عن التصورات الأبوية إلى تصور مبني على أسس فردية. ومثل هذا التطور وهذه النسب تشير إلى أن الشروط الفردية في الزواج تتزايد بشكل حاسم ومستقل عن أي عامل ديموغرافي. أياً كانت الأسباب التي أدت إلى مثل هذا التحول في قيم الزواج، فهي شكلت ديناميكا مستقلة عنها.

٣. العلاقة بين تطور القيم، بشكل أسرع من تطور الخيارات يتضح في السؤالين رقم ٦ ورقم ١٤ (جدول رقم ٢). السؤال رقم ٦، (*تهمني مشاعري تجاه الرجل الذي سأرتبط به*) غالبية ساحقة تصل إلى الإجماع. وهي تقريباً نفسها عند قراءتها عبر العوامل الديموغرافية. السؤال رقم ١٤ (*أرفض الزواج بالطريقة التقليدية*) الإجابة مختلفة إلى حد كبير. حيث بلغت نسبة الموافقات على هذه العبارة حوالي ٥٥٪ فقط. و٤٥٪ رفضنها واعتبرنها غير صحيحة. وهذا يعني أن القيم وأشكال الفهم تتغير بشكل أسرع بكثير من الفرص والخيارات. والإجابة على السؤال رقم ١٤ متأثرة بشكل طفيف بالعوامل الديموغرافية. ولكن لم يكتشف توجه واضح لدى معظم العوامل التي تم تناولها في الدراسة. وما يؤكد ذلك هو نتائج السؤال ١٣ (*يهمني التعرف على الرجل الذي سأرتبط به قبل عقد القران*) وافق على هذه العبارة ٦٧٪، في حين تؤكد نسبة مختلفة بشكل كبير عن نسبة السؤال ٦ أكثر من ٩٥٪ (يؤكدن على أهمية توفر المشاعر تجاه الزوج). إذ أن الإصرار على توفر

المشاعر دون القدرة على التعرف على الزوج قبل عقد القران، فجوة توضح الفرق بين تطور الفهم والوعي وبين توفر الخيارات أو حتى التوصل إلى اتفاق حول الخيارات.

٤. ما يؤكد على أن القيم تتطور بشكل مستقل عن الخيارات، أسئلة أخرى متعلقة بمواصفات الزوج الأسئلة ٣ المظهر، و ٤ التعليم، و ٥ الدخل، مقارنة مع السؤال رقم ٦ المشاعر. جميع هذه المؤشرات حصلت على نسب تتجاوز الـ ٩٠٪ من اللواتي استطلعت آرائهن، ولكنها بقيت متدنية بشكل طفيف قياساً مع الاهتمام بالمشاعر.

٥. ما تم رصده من انزياح في المواقف حول شروط الزواج ومواصفات الزوج وطريقته، تشير إلى مسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء، وهي احتمالية عدم التطابق بين الجوانب العاطفية للزواج وبين القيم والمفاهيم الاجتماعية التي تنظم الزواج. وإذا كانت هذه الملاحظة صحيحة، فإنه من المناسب العمل المبكر لمواجهة هذه الحقيقة، والتعاطي معها ثقافياً وفنياً واجتماعياً بشكل سريع. إذ أن استشراء هذه الظاهرة وتجذرها سوف يكون لها انعكاسات خطيرة لا يمكن تجاهلها.

٦. النقطة المهمة في هذا السياق، هو القناعة. حيث بلغت النسبة قرابة ١٠٠٪ (جدول رقم ٢) من قبول شرط الإقناع. وهذا يمكن تفسيره بأنه شكل من التسوية ما بين القيم والخيارات. حيث تستثني جميع المشاركات في الاستطلاع فكرة الجبر والقهر على الزواج، وبعد ذلك يمكن التهاون مع الطرق والوسائل، ولكن ليس مع حق "الرفض أو الاعتراض" تجاه أي نتيجة من نتائج الوسائل والخيارات المتاحة.

٧. أما خيار الطلاق، في حال ساءت الحياة الزوجية، فهناك أكثر من ٤٤.٥٪ (جدول رقم ٢) من المبحوثات مستعدات لهذا الخيار. ولكن هذا الخيار ما زال متأثراً بتعليم الوالدين. حيث تشير الأرقام إلى ارتفاع مؤشر القبول بخيار الطلاق مع ارتفاع مستوى تعليم الوالدين. حيث ارتفعت النسبة لدى المبحوثات لأب أو أم جامعية عن مستوى ال ٤٤.٥٪. وارتفع كثيراً فيما يتعلق بنوع التعليم، الذي يعكس وضعاً اقتصادياً مريحاً. حيث يتبين من هذا أن أحد عوامل تجنب اللجوء للطلاق كخيار هو عدم الإحساس بالأمان الاقتصادي.

٨. إحدى الأسئلة التي تشير إلى تغير حاسم في سلة الخيارات في المجتمع السعودي، هو أن خيار الزواج ليس مهماً لأكثرية العينة. حيث أفادت ٦٢٪ من المبحوثات أنه لا يهمهن إن تزوجن أم لا. ومثل هذا الموقف يعكس تغير عميق على تركيب "سلة الخيارات". فعدم الاهتمام بالزواج له تفسير واحد وهو أن هناك أولويات أخرى، أو خيارات أخرى تجعل الزواج خيار أقل أهمية بالنسبة لغالبية الفتيات في الجامعات السعودية.

٩. تشير نتائج خريجات المدارس الخاصة اللواتي تمسّكن بموقف أن الزواج ليس مهماً، إلى أن ٥٣٪ منهن تتبني هذا الموقف. في حين كانت النسبة بين خريجات المدارس الحكومية أعلى، حيث بلغت قرابة الـ ٦٥٪ من طالبات المدارس الحكومية إلى تبني موقف "لا يهمني إذا تزوجت أم لا". يضاف إلى ذلك أن مستوى تعليم الوالدين كان له أثر طفيف جداً، أو غير مؤثر على هذا الخيار.

١٠. القيم المتعلقة بالأمومة تشير إلى تنامي البعد الفردي بشكل لا يقل وضوحاً عن ما هو واضح في تحولات قيم الزواج. حيث يتشكل الموقف من جنس الأبناء لصالح

المساواة بين الجنسين. أكثر من ٩٢,٧٪ من الطالبات (جدول رقم ٤) أكدن على عدم وجود فرق بين إنجاب الذكور والإناث. الملاحظ هنا أن انخفاض مستوى تعليم الوالدة كان لصالح الموقف. حيث أجابت ٩٤,٢٪ من الطالبات اللواتي تعليم أمهاتهن أقل من الثانوية بتبني موقف المساواة. في حين أجاب ٩٠,٦٧٪ من اللواتي تعليم أمهاتهن ثانوي بتبني هذا الموقف. أما بنات المتعلمات تعليم جامعي فقد شكلن نسبة تصل إلى ٩٢,٧٩٪.

١١. البُعد الفردي يتوضح عند الحديث عن العلاقة بين العمل وبين الأمومة. طالبات الجامعة يتبنين موقفاً عاماً تجاه عدم التعارض بين العمل والأمومة. ٩٦,٣٪ (جدول رقم ٤) يؤكدن على عدم وجود تعارض بين العمل والأمومة. الملاحظ هنا أن مستوى تعليم الأم كان له أثر عكسي. حيث كانت إجابات اللواتي تعليم أمهاتهن أقل من الثانوي ويوافقن على عدم وجود تعارض بين العمل والأمومة ٩٧,٢٥٪. في حين أجابت ٩٥,١٢٪ بنفس الموقف، من اللواتي تعليم أمهاتهن جامعي. وذات الموقف صحيح بالنسبة لتعليم الآباء، مما يجعل من الممكن القول بأن هناك تحول لقيم الأمومة والعمل بعيداً عن التصورات الأبوية والتقليدية.

١٢. إنحياز الطالبات لحجم الأسرة المتوسط يؤكد على تصاعد فرص العائلة الأقل حجماً في مواجهة العائلة الممتدة. من جهة أكثر من ٧٥٪ من الطالبات يعشن في أسر متوسطة الحجم، وعدد أفرادها ٤-٦. أقل من الربع جئن من عائلات كبيرة عدد الأخوة فيها أكثر من ٧.

١٣. فيما يتعلق بمسار التعليم أدبي أو علمي، هناك تباين واضح في النتائج، يصل إلى

عدة نقاط. إذ باستثناء خيار الطلاق فيما إذا ساءت الحياة الزوجية، والموقف من عنف الزوج وتسلطه، هناك تباين يصل في بعض الأسئلة إلى خمسة نقاط مئوية. التباين ملموس عند مراجعة نتائج الأسئلة المتعلقة بقيم الزواج، وقيم الامومة كذلك. وهذا له دلالة عند تحليل طبيعة المناهج، أو تحليل أثر النظام التعليمي على تحولات قيم الطالبات.

١٤. العامل الديموغرافي فيما إذا كانت الطالبة تعيش مع والديها، أم لا، لم يتم التعامل معه بذات الطريقة، حيث أن نسبة من تعيش بعيداً عن والديها لا تشكل أكثر من ٧٪ وهذا لا يقدم أساس كمي لنتائج رقمية يمكن الاطمئنان إليها.

١٥. نوع المدرسة. توضح الأرقام، تباين النتائج بين خريجات المدارس الأهلية وخريجات المدارس الحكومية. وهذا قد يكون مؤشر على أثر العامل الاقتصادي في تبني القيم التي تعزز وتعلي من شأن البعد الفردي، وربما ذهب التحليل إلى طبيعة المنهاج وأثره على النتائج. ولكن ربما على طبيعة ونوعية المدارس الأهلية. إذ من الملاحظ أن نسبة اللواتي يقبلن بأن يكن زوجة ثانية من خريجات المدارس الأهلية أعلى من نسبة خريجات المدارس الحكومية. كما أن المهتمات بالزواج بين خريجات المدارس الأهلية نسبتهم أعلى من خريجات المدارس الحكومية. بشكل عام، يبدو أن خريجات المدارس الأهلية، وهذا مؤشر على الوضع الاقتصادي المرتفع، أقل حدة في الابتعاد عن القيم الأبوية. وربما هذا له علاقة بتأثير العامل الاقتصادي. إذ يبدو أن ارتفاع معدلات الدخل تزيد قدرة الأسر على تسويق قيمها الأبوية لدى بناتها. ولكن هذا يبقى جزء من الديناميكا الشاملة. حيث أن ارتفاع معدلات الدخل تمثل أحد العوامل المركزية لتعزيز القيم الفردية لدى المبحوثات.

الخاتمة:

تحول قيم الزواج والأمومة لدى الطالبات، بشكل مستقل عن المنظومة العامة التي تتعامل مع النساء، يمثل بحد ذاته حدثاً مستقلاً يمكن فهمه في أن المرأة التي كانت موضوعاً بدأت تفكر بذاتها ولذاتها، وتستعد الآن لتكون مصدراً قائداً من مصادر التغيير.

هذا الموقف، تبني القيم بشكل ذاتي ومستقل عن القيم السائدة، يثبت حقيقة أن التفكير بالذات ومن أجل الذات، يمثل تحولاً في القيم، وهو بداية التغيير في العلاقة بين أطراف معادلة الاستقرار الاجتماعي. حيث يرى فرانز فانون أنه بداية نهاية منظومة العلاقات القديمة[١]، وبدء تشكل قواعد جديدة لعلاقات جديدة.

تحول قيم الزواج والأمومة لدى الطالبات، حتى لو لم يوجه مباشرة إلى رفض المرأة للقواعد القديمة، فإنها تقول أن المرأة بدأت تصوغ لنفسها وبنفسها، وبمبادرتها شروط وقواعد قبولها ببنية العلاقات الراهنة. وهذه الشروط لا يمكن تلبيتها وبقاء منظومة العلاقات كما هي. إذ أن تصاعد الذات في منظومة القيم الفردية تعبير عن ردة فعل تجاه ما يعانيه الفرد من ضغوط واضطهاد. إذ أن النزعة الفردية، ليست مجرد نزعة مدينية طبقية، بل هي قبل كل شيء منظومة دفاع فردية في مواجهة مجتمع بدأ بسَحق الذات الفردية واضطهادها[٢]. فعندما تتحلل البنية الوسيطة للمجتمع، (وهي التي كانت

---

[١] فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي و جمال الاتاسي، بيروت: دار الطليعة، 1966، ص ٤٦.

[٢] حليم بركات، مرجع سابق، ص ٣٢٧. "*النزوع نحو الفردية والتأكيد على الذات رغم/ او بسبب التأكيد على العضوية والانصهار في الجماعة. تتجلى الفردية الأنانية مثلاً بالتأكيد على (الأنا) نتيجة لمحاولات العائلة =*

تترك للفرد فرصة أن يكون منصهراً في الجماعة، وبنفس الوقت يشعر بقيمته الفردية)[١] يصبح الفرد في مواجهة المجتمع الكبير الذي لا يقيم أي اعتبار للفردية، وعندها يصبح مدفوعاً للبحث عن فرديته وتأكيدها عبر منظومة قيم جديدة، توفق بين حاجاته وبين متطلبات المجتمع الكبير. القيم الجديدة تتحول من حيث هي وسيلة دفاع إلى منظومة للحفاظ على التوازن. البنية الأبوية – بمؤسساتها الوسيطة العائلة الكبيرة والقبيلة - تذيب الفردية، ولكنها تعوضها من خلال فكرة العضوية[٢]. غياب المؤسسات الوسيطة للمجتمع الأبوي، وبقاء قيمه سائدة في المجتمع، يشكل معوق للأفراد لا يمكنهم التوازن داخله. المجتمع الكبير الذي يتبنى القيم الأبوية ولا يمتلك أدواتها، يحكم على نفسه بمصادمة أفراده. وأي مجتمع يجب أن يقدم وسيطاً لتنظيم العلاقة بين الفرد وبين المجتمع ككل.

صحيح أن البنية الأبوية تلغي الفردية، ولكنها تلبي الكثير من حاجات الفرد،

= *والمؤسسات والانظمة سحق الذات. كردة فعل للضغوط التي تمارسها العائلة والمؤسسات على الأفراد، تتكون عند هؤلاء نزعة مضادة للتأكيد على الذات. وبين مسببات الفردية الأنانية حالة الندرة التي تضطر الناس إلى التنافس للحصول على الأشياء والامور النادرة*"

(١) حليم بركات، *"النزوع نحو التشديد على العضوية لا على الاستقلال الفردي. يرتبط الإنسان بالعائلة فيتصرف ويعامل فيها من قبل الآخرين على أنه عضو أكثر منه فرداً مستقلاً بذلك تتوحد هويته بهويتها ويشاركها أفراحها وأتراحها، انتصاراتها واخفاقاتها، عارها وشرفها "* ص ٣٢٦.

(٢) انظر حليم بركات، ص ٢٢٢، عنوان فرعي: التوسط بين الفرد والمجتمع. وعنوان آخر تجسد المجتمع في العائلة. ويمكن مقارنة هذه المقاربة في توصيف المجتمع العربي، مع فكرة التنشئة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة التي تخلت عن القبيلة، حيث تحل المدارس والجمعيات والهيئات النوعية للتوسط بين الفرد والمجتمع. ولكن الحقيقة أنه لا يمكن تغييب الأطر التي تتوسط بين الفرد والمجتمع، والبقاء على حالة التوازن في حياة الأفراد والمجتمعات. أنظر أيضاً، صمويل هنتغتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، Political Order in Changing Societies، مرجع سابق.

وتعترف بآلامه وأفراحه وآماله في حدود قواعدها. مع بدء تحلل هذه البنية، وبقاء منظومتها وقيمها، يصبح الفرد في مواجهة كل المجتمع، يبقى مسحوقاً، ولكن دون أن توجد بنى وسيطة تقلل من آلام الانسحاق والإلحاق بالمجتمع الكبير. المعضلة هي أن المجتمع الذي تخلى عن البنى الوسيطة وبقي متمسكاً بقيم المرحلة التي كانت فيها هذه القيم فاعلة، يواجه معضلة كبرى في تنظيم العلاقة بين كيانه الكبير من جهة وبين أفراده من جهة أخرى[١].

فأحد أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من التحليل الكمي هو تشكل نزعة واضحة للطالبات للانتقال من كنف البنى الوسيطة بين الفرد والمجتمع، إلى التفاعل المباشر مع المجتمع ككل. فأهم ما ميز التحولات المرصودة في القيم، هو الميل الواضح للتعلق بفكرة المجتمع الكبير، على اعتبار أنه ملجأ للتخلص من القيم الأبوية معتمدين كلياً على العائلة كوسيط بين الفرد وبين المجتمع. والتمسك بالعائلة الصغيرة كوسيط بين الفرد والمجتمع له أثر مركزي وحاسم على وجود البنى الأبوية الوسطى في المجتمع. " المرأة هي المستفيد الأول من عملية الانتقال من العائلة الأبوية إلى العائلة الحديثة (العائلة التي يتم بنائها على أساس قيم الزواج والامومة التي تم رصد عملية تشكلها في الدراسة). ذلك أن النظام الأبوي العائلي هو أساس لسيطرة مزدوجة: سيطرة الأب على أفراد العائلة وسيطرة الرجل على المرأة. وتشكل بنية العائلة الحديثة في حد ذاتها، شرطاً ضرورياً (لكنه غير كاف) لتمكين المرأة. هذا الشرط الذي يجعل تطور دور المرأة

---

[١] انظر Marshall Berman, All that is Solid Melts Into Air: The Experience of Modernity، New York: Penguin Books، 1982, P. 15

ممكناً هو إمكانية التعلم والعمل، وبالتالي بلوغ الاستقلال الاقتصادي"[١].

صحيح أن المجتمع السعودي، كغيره من المجتمعات، قبل تحدي التغيير بديناميكيات داخلية منذ بدأ رحلته نحو الحداثة[٢]. ولكنه تغيير عقلاني، وليس تغييراً عشوائياً. حيث يتم من خلال عمليات تحول القيم لدى الأفراد توسيع سلة الخيارات الاجتماعية. وهذا ما يعني بالضبط أن الحداثة أدت إلى بدء عمليات التغيير في المجتمع الأبوي. حيث يرى شرابي، أن المجتمع الأبوي هو: "مجموعة من القيم ونمط من السلوك ترتبط بنظام اقتصادي معين وثقافة معينة. وبهذا المعني يصبح النظام الأبوي واقعاً تاريخياً واجتماعياً حياً"[٣]. المجتمع الأبوي هو مجتمع حي تتم في داخله عمليات تفاعل عظيمة، تؤدي إلى تغييره على أسس عقلانية واضحة. فهو ليس بنية افتراضية، وليس مجرد حاجز ضد الحداثة، وإنما هو الإطار الذي تجري داخله التفاعلات التي ستقود إلى المجتمع الحديث. فهو بهذا المعنى، سياق لعمليات التغيير التي ستفضي إلى تحلله ونفيه واستبداله بمجتمع حديث ضمن عملية مستمرة. والتحولات التي تجري في القيم تجري داخله، والتغييرات التي تتم على سلة الخيارات تتم من داخله أيضاً، وهو بهذا سياق للتفاعل والتغيير، وليس مجرد أطروحة للدفاع عنها ضد منتقديها، أو تحميلها مسؤولية كل ما يتم رصده من سلبيات.

وهنا نتطرق إلى فهم عمليات التغيير داخل المجتمع الأبوي على المستويين النظري

---

[١] هشام شرابي، مرجع سابق، ص ٤٣. التشديد من المؤلف. والأقواس من الباحثة

[٢] انظر هشام شرابي، حيث يؤكد بشكل قاطع بأن الحداثة لا يمكن لها أن تكون دون أن تمر المجتمعات بتغييرات عميقة. والحداثة كما يذهب إليه شرابي، هي انفتاح شامل على التغيير.

[٣] هشام شرابي، مرجع سابق. ص ٣٠.

والعملي التطبيقي كما تم رصده في الدراسة. على المستوى النظري، ليس المهم المضامين لعمليات التحول الفكري والشعوري التي تجري وتتجلى في القيم التي يتبناها الأفراد، بل هي نمط التفكير الذي يجري، وطبيعة التحولات في القيم، وأهمها على الأطلاق، هو التحول في القيم نحو تعزيز الفردية في الذات التي تجري عملية تشكيلها بصورة متزامنة مع ما يجري من تحلل للبنى الوسيطة، وإحلال بنى جديدة مكانها[1] إذ أن تزايد منسوب الفردية في وعي الذات، من خلال القيم الجديدة التي يتم تبنيها للأمومة والزواج، ومدى انعكاس هذه القيم على فكرة العائلة، وعلى فاعليتها في الحفاظ على القيم الاجتماعية كما كانت. التحول لا يتم فقط على مستوى فهم الطالبات للعائلة. فهذا متغير. التحول الذي تم رصده على مستوى القيم المرتبطة بالحاجات النفسية والبيولوجية، وتجليها في غريزتي المشاركة والأمومة لدى الطالبات. فعندما يبدأ التحول يطال قيم مركزية بهذا العمق، فلا يمكن بعدها القول أن قيم العائلة بقيت كما هي، أو أن منظومة القيم الجمالية الأخرى، بقيت تحافظ على فاعليتها.

يضاف إلى ذلك عدم الانسجام بين التحول في القيم وبين الاستعداد للخيارات الجديدة. فهناك قيم يتم تبنيها، ولكن دون توفر إطار اجتماعي للخيارات يلبي هذه القيم، أو يمكن من تحقيق الإشباع بشكل يلبي التحول في القيم والمتطلبات الاجتماعية.

---

[1] أنظر بهذا الخصوص، هشام شرابي، مرجع سابق، ص ٣٦: *"إن الصعوبة الحقيقية التي يطرحها الوعي المنمذج غير المستقل تتعلق بأنماط التفكير أكثر مما تتعلق بمحتواه. وتبعاً لذلك، لا تنجح الثقافة المؤسسية بمفردها في تحقيق تغيّر جدّي في مستوى الشعور لدى المجتمع البطركي الحديث. والواقع أن عملية تغيير الوعي لا يمكنها أن تكون فاعلة وقادرة إلا إذا ارتكزت على الاستقلالية، أي حينما يتم اكتناه النظام البطركي الحديث وعلاقاته السيكولوجية ومن ثم تجاوزها، أو على الأقل إزالة هيمنتها"*

مثل هذه الفجوة وإن بدت شكلية، حيث يمكن المغامرة بالقول بأن تحولات القيم تسبق توفير الخيارات، وتوفير المظلة الاجتماعية للخيارات الجديدة، إلا أنها تمثل مقدمات يجب الانتباه لها عند التخطيط الثقافي والإعلامي في المستقبل.

أخيراً لا بد من العودة إلى الفرضيات الأولى، وهي أن ما يميز المجتمعات، ليس الغايات والحاجات، ولكن الطرائق والوسائل. فكل البشر لهم حاجات بيولوجية وعاطفية، ولكن طرائق تلبيتها هي التي تختلف، من مكان لآخر، ومن زمن لآخر. كذلك عمليات التغيير للانسجام مع تحديات الحداثة، تحصل، ولكن بآليات خاصة لكل مجتمع. وعلينا هنا أن نقر، أن التغييرات التي تجري الآن، يجب فهمها كما هي دون الذهاب لتقييمها على ضوء مقارنات قد تكون غير علمية وغير عادلة لإصدار الاحكام والتقييمات. تفكيك البنية الاقطاعية في أوروبا في القرن التاسع عشر بفاعلية التحديث، حصلت بطريقة مختلفة عن طريقة تفكيك البنية الأبوية وتحقيق الحداثة التي تجري الآن في المجتمعات العربية، ومنها السعودية.

لا شك أن هناك تحولات اقتصادية ومؤسسية وتكنولوجية تجري الآن في المجتمع السعودي تمثل مؤثرات فعالة (بعضها إيجابية دافعة ومشجعة للتحول والتغيير، وبعضها الآخر سلبي معيق للتحول والتغيير) على عمليات التحول في القيم وما تبشر به من تغييرات اجتماعية. ولكن من المهم التوقف سريعاً عند سؤال عن مدى فاعلية المؤثرات الفنية والثقافية والفلسفية المحلية أو العربية على التحولات والتغييرات التي جرت أو تلك التي تجري. وكذلك من الضروري هنا الاعتراف بأن التحولات والتغييرات تجري بالانفتاح على مؤثرات ثقافية وفكرية وفنية وفلسفية عالمية، وليس فقط مؤثرات محلية. وهذا ما يجعل إدارتها –على المستوى المحلي– عملية صعبة ومعقدة.

التوصيات:

تناولت الدراسة قيم الزواج والأمومة لدى طلبات الجامعات كقيم متغيرة، حيث يشكل الموروث الاجتماعي والثقافي المرتبط بالزواج والأمومة أحد السمات الأساسية لثقافة المجتمعات العربية والمجتمع السعودي تحديداً، ولأن التغيير هو سمة المجتمعات فإن مساحة وفاعلية هذا الموروث ستتغير، ونظراً لما وجدته الدراسة من قلة الدراسات خصوصاً تلك المتعلقة بقيمة الأمومة فيمكن لهذه الدراسة التوصية بالآتي:

١. القيام بدراسات وبحوث على موضوع تصورات الزواج والأمومة لدى المرأة وتأثير ذلك على تكيفها الأسري والمهني.
٢. التوعية بالدور الذي تقوم به الأم في استقرار الأسرة والمجتمع، وهي مسئولية تقع على عاتق الأسرة كؤسسة والمؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية.

المراجع:

العربية:

ابن خلدون (٢٠٠٤) مقدمة ابن خلدون، بيروت: المكتبة العصرية.

اشبنغلر، أزوالد (١٩٦٤) تدهور الحضارة الغربية. ترجمة أحمد الشيباني، بيروت: دار مكتبة الحياة.

باقادر، ابوبكر وفوزية باشطح (١٩٨٩) الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، مجلة المنهل، العدد: ٥٦٣، المجلد: ٦١: ١٢٥-١٥١.

باشطح، فوزية (١٩٨٨) الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي: دراسة تطبيقية على مدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز.

بركات، حليم (١٩٨٤) المجتمع العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الحبابي، محمد عزيز (١٩٦٣) من الكائن إلى الشخص، الكويت: منشورات دار المعارف.

حريري، أنجي جمال (٢٠١٩) اختيار شريك الحياة لدى الطالبة الجامعية: دراسة ميدانية على عينة من طالبات جامعة الملك عبدالعزيز، فكر وإبداع، مجلد: ١٢٧: ٢٩٩-٣٣٣.

حطب، زهير (١٩٨٣) تطور بنى الأسر العربية والجذور التاريخية والاجتماعيةة لقضاياها المعاصرة، بيرون: معهد الانماء العربي.

زيعور، علي (١٩٧٨) الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية: من مونوغرافيا قرية إلى التنمية الوطنية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

شرابي، هشام (١٩٨٧) البنية البطرييكية: بحث في المجتمع العربي المعاصر، بيروت: دار الطليعة.

عمر، معن خليل (١٤٢٩هـ) صيرورة تغيير الأسرة السعودية، دراسة مقدمة لندوة الأسرة السعودية والتغيرات المعاصرة، www.socialar.com/vb

الشايع، محمد عبدالله (٢٠٠٨) الأسباب المؤدية إلى حدوث العنوسة لدى الفتيات داخل المجتمع السعودي، مجلة كلية الآداب بقنا، المجلد: ١٧، العدد: ٢٢: ٢٠١-٢٢٨.

الشعبان، فاطمة مبارك (١٩٩٧) دراسة العوامل الاجتماعية والثقافية لتأخر سن زواج الفتيات في المجتمع الحضري، راسلة ماجستير، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز.

فانون، فرانز (١٩٦٦) معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الاتاسي، بيروت: دار الطليعة.

كريب، إيان (١٩٩٩) النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، الكويت: عالم المعرفة رقم ٢٤٤.

المطيري، حنان محمد (٢٠٠٩) العوامل الالاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بتأخر سن الزواج عند الشباب السعودي، راسلة ماجستير، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز.

الموسى، سليمان محمد (١٩٨٧) الاختيار للزواج ي الأسرة السعودية: دراسة ميدانية لمنطقة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الأجنبية:

Arrow, Kenneth J. (1951) Social Choice and Individual Values, New York: John Wily & Sons.

Berlin, Isaiah (1954) Four Essays on Liberty, Determinism and responsibility, London: Oxford University Press. London.

Berman, Marshal, All that is Solid Melts into Air: The Experience of Modernity ،New York: Penguin Book.

Brodbeck, May (1963) Meaning and Action, in Reading in the Philosophy of the Social Science, May Brodbeck (ed.), London: Collier-Macmillan.

Ekstrom, Mats (1992) Casual Explanation of Social Action: The Contribution of Max Weber and of Critical Realism to a Generative View of Casual Explanation in Social Science, Acta Sociology, vol. 35, no. 2, pp 107-122.

Evans-Pritchard, Edward (1965) Theories of Primitive Religion, Oxford: Clarendon Press.

Felluga, Dino "Introduction Guide to Critical Theory", www.cla.purdye.edu/english/theory.

Huntington, Samuel P. (1968) Political Order in Changing Societies, Ylae: University Press.

Stern, Bernhard J. and Lewis Henry Morgan (1946) Today: An Appraisal of His Scientific Contributions, Science & Society, vol. 10, no. 2, pp.172–176.

Tonnies, Ferdinand (2002) Community and Society, translated and edited by Charles P. Loomis, New York: Dover Publication, INC.

Weber, Max (1964) The Theory of Social and Economic Organization, New York: the Free Press.

Wiber, Max (1964) The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism, translation by Peter Baehr and Gordon C. Wells, England: Penguin Books.

المواقع الالكترونية:

1. www.britannica.com
2. http://www.debate.org/opinions/is-todays-society-patriarchal
3. http://history-world.org/Civilization,%20women_in_patriarchal_societies.htm
4. http://members.iimetro.com.au/~hubbca/our_patriarchal_society.htm
5. http://www.sociologyguid.com/social-change/factors-of-change.php
6. http://www.yourarticlelibrary.com/sociology/essay-on-social-change-meaning-characteristics-and-other-details/8590/